يقين الخلاص

بقلم
القس لبيب ميخائيل

يقين الخلاص

« الكتاب الذي يوضح لك الطريق إلى فرح اليقين، وسلام الغفران، وبهجة الخلاص »

« هو خير هدية تقدمها لأصدقائك الخطاة والمؤمنين »

بقلم

القس لبيب ميخائيل

راعي الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى بشبرا مصر

دبلوم دراسة الكتاب المقدس

ودبلوم دراسة العقائد المسيحية

ودبلوم دراسة النبوات بالمراسلة من كندا

الطبعة الأولى

١٩٦٢

لجنة مطبوعات الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى

تقديم الكتاب

بدأت خدمتى للمسيح منذ ما يقرب من ربع قرن .. وقد قابلت خلال هذه المدة الطويلة من الزمن ، أشخاصاً كثيرين من مختلف البيئات ، والعقليات ، والثقافات .

كان الفريق الأول من هؤلاء الأشخاص من أولئك الذين نالوا خلاص الله ، ولكن خوفهم من أن يسقطوا فى الخطية ، ويهلكوا هلاكا أبدياً ، كان يقلقهم ، ويحرمهم فرح الرب ، ويملأ حياتهم بالاضطراب .

وكنت ألاحظ أنه رغم اجتهادهم الذاتى أن يحيوا حياة التدقيق، فإن حياتهم كانت ضعيفة التأثير فى الشهادة للآخرين ، لأنها كانت خالية تماماً من فرح اليقين ، وسلام الغفران ، وبهجة الخلاص ، وأنهم كانوا بقلقهم ،واضطرابهم ، وعدم التيقن من ثباتهم يرسمون صورة مظلمة المسيحية ، تنفر منها غير المخلصين .

وكان الفريق الثانى من هؤلاء الأشخاص ، ممن يتوقون لنوال الخلاص ، وتجول فى أذهانهم شتى الأسئلة بخصوص هذا الموضوع الخطير ..

كانوا يسألون قائلين :

ما معنى الخلاص بحسب مفهوم الكتاب المقدس ؟

هل يمكن لمن يؤمن إيمانا قلبياً بالرب يسوع المسيح أن يتيقن تماما من نواله الخلاص وهو يعيش على هذه الأرض ؟

ما هو طريق نوال خلاص الله ؟

هل الخلاص بالأعمال أو بمجرد الإيمان القلبي بالرب يسوع المسيح ؟

وما قيمة الأعمال الصالحة فى حياة المؤمن المتجدد ؟

هل يمكن أن يفقد أحد المولودين من الله خلاصه الأبدى ؟

هل يعنى نوال الخلاص نهاية الحرب فى حياة المؤمن مع قوات الشر ؟

ما هى أسباب ارتداد المؤمن ؟ وكيف يعالج الله المرتدين ؟ ولماذا يؤدب القدير أولاده حين يبتعدون عنه ؟

ولا شك أن الجواب الوحيد الشافى لكل هذه الأسئلة ، موجود بكيفية أكيدة على صفحات الكتاب المقدس ، هذا السجل العجيب الذى يحوى كل مشورة الله .

وقد وضع الرب على قلبي أن أكتب هذا الكتاب بمعونته وإرشاد روحه ، وسيجد القارىء المحبوب على صفحاته شرحاً واضحاً لمفهوم الخلاص بحسب الكتاب المقدس ، وإجابة كتابية صريحة عن كل سؤال يتصل بيقين الخلاص العظيم .

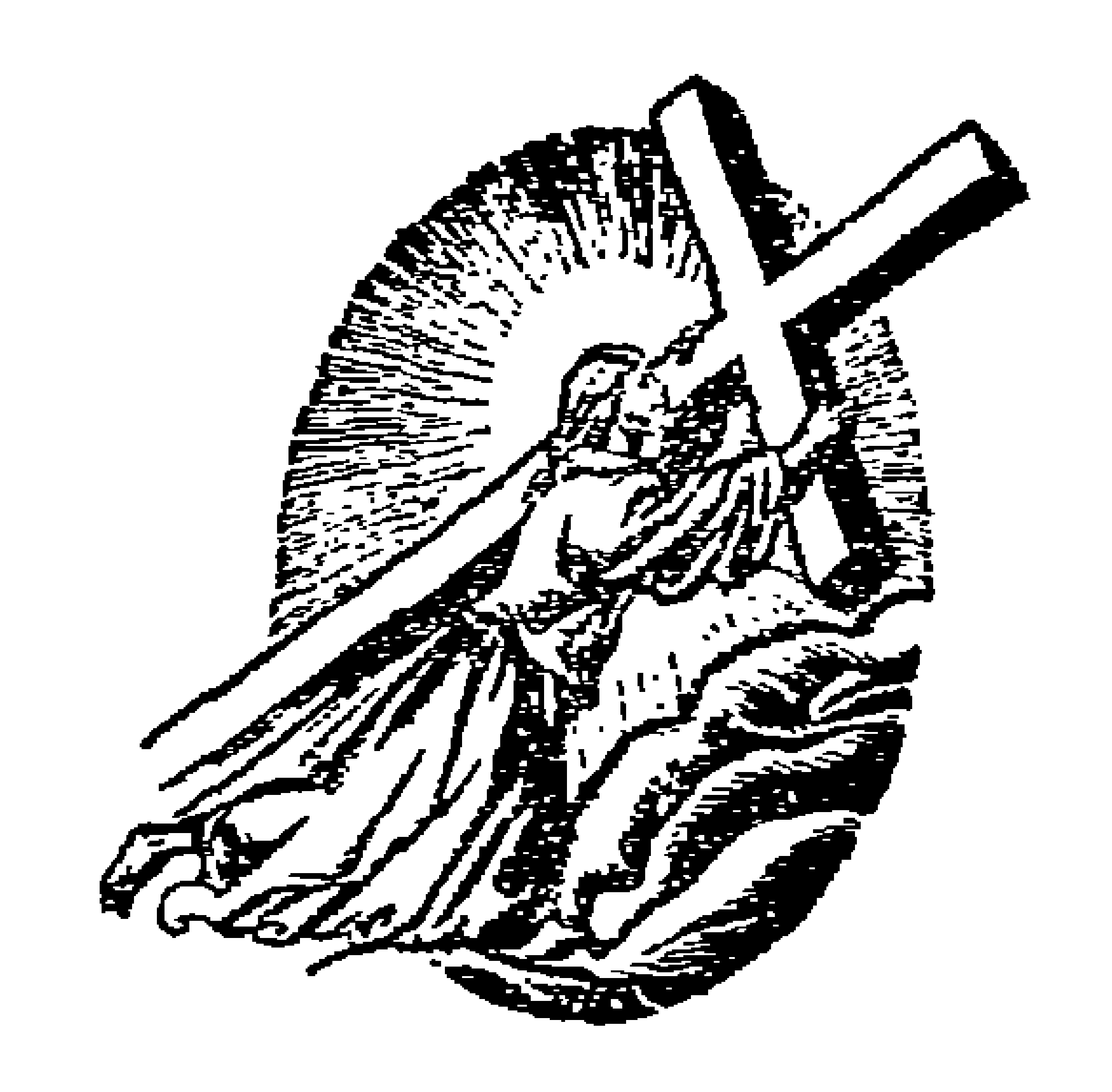
وصلاتى إلى إلهى أن يستخدم بنعمته هذا الكتاب ، لخلاص النفوس المثقلة بالخطية ، التواقة إلى نوال الراحة والفرح والسلام ، وأن يفتح بواسطته باباً أمام قارئيه إلى حياة الفرح ، واليقين ، والنصرة ، وأن يجعله بركة للكثيرين من المؤمنين ليتيقنوا من من حقيقة خلاصهم ، فيمنحهم اليقين قوة ، وبهجة ، وسلاما ،

فيخرجوا بقوة الروح القدس الساكن فيهم منادين بإنجيل الخلاص، مطيعين أمر الرب المبارك الكريم «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها من آمن واعتمد خلص . ومن لم يؤمن يدن » مرقس ١٦ : ١٥ و ١٦ ، حتى يأتى اليوم الذى يجتمع فيه المفديون حول العرش الموضوع فى السماء ، ليرنموا لفاديهم المحبوب ترنيمة جديدة قائلين « مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا لإلهنا ملوكا وكهنة فسنملك على الأرض » رؤيا ٥ : ٩ و ١٠

فله وحده يليق أن نقدم كل مجد ، وكرامة ، وسجود ، وحمد ؟

شبرا مصر فى ٢٢ مايو ١٩٦٢

القس
لبيب ميخائيل



الفصـــل الأول

معنى الخلاص

تساءلت وأنا أقرأ بتأمل الاصحاحات الأولى فى سفر الأعمال : لماذا كان كل عضو فى كنيسة أورشليم فى أيام الرسل ممتلئاً بالقوة ، ينادى للنفوس الخاطئة بإنجيل الخلاص العظيم ، بينما نرى أن المسيحيين الإسميين فى هذا القرن العشرين قد أهملوا تماماً المناداة بهذا الإنجيل الكريم ؟ !

وقد رأيت خلال دراساتى فى هذا السفر الجليل أن سر نهضة أعضاء كنيسة أورشليم فى الكرازة بالإنجيل ، هو أنهم قد اختبروا خلاص الله وأدركوا معناه ، ولذا فلم يكن من العسير عليهم أن يخبروا الآخرين بما اختبروه .

ويقيناً أن أعضاء الكنيسة من التلاميذ الذين تركهم الرب قبل موته كانوا قد نالوا اختبار التجديد الذى غيّر حياتهم ، وأن الذين انضموا إلى كنيسة أورشليم بعدئذ كانوا متجددين .

وهذا يبدو واضحاً من الاصحاح الثانى فى سفر أعمال الرسل ، فهناك نقرأ أن بطرس الرسول بعد أن امتلأ من الروح القدس يوم الخمسين ، وعظ اليهود الأتقياء الذين اجتمعوا على صوت حلول الروح على التلاميذ ، عن المسيح المصلوب المقام قائلا لهم « هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه . الذى أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه » أع ٢ : ٢٣ و ٢٤

« فلما سمعوا نخسوا فى قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة ، فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس ... فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس . وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات » أع ٢ : ٣٧و٣٨و٤١و٤٢

والصورة ترينا أن هؤلاء الناس قد سمعوا رسالة إنجيل الخلاص من شخص ممتلىء بالروح القدس ، وقد نخسهم الروح بمناخس الكلمة المقدسة فى قلوبهم ، فعرفوا أنهم خطاة يستحقون دينونة الله العادلة ، وتحت تأثير عمل الله فيهم سألوا : ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة ؟

وأراهم بطرس الرسول طريق الخلاص قائلا : «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » أع ٢ : ٣٨

وقد نال هؤلاء الخلاص بالنعمة بالإيمان ، إذ تابوا ، وقبلوا كلمة الله ، ووثقوا فى عمل المسيح الكامل الذى أجراه فوق الصليب.

وكان أول ما فعلوه بعد ذلك أنهم اعتمدوا بالماء ، والمعمودية هى أولى فرائض الكنيسة الكتابية . وبالتالى هى طريق الإنضمام إليها ... وهكذا صار هؤلاء المتجددين ـ بالمعمودية ـ أعضاء فى كنيسة أورشليم ، وهذا واضح من الكلمات « فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » أع ٢ : ٤١

ويستمر كاتب سفر الأعمال ليرينا أن الذين انضموا إلى الكنيسة بعد هذا التاريخ كانوا أيضاً من الذين نالوا الخلاص العظيم ، لذلك نقرأ عنهم « وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون » أع ٢ : ٤٧

ويقيناً أن أشخاصاً قد اختبروا خلاص الله ، لا يمكنهم أن يسكتوا عن المناداة بالإنجيل حتى فى وسط الاضطهاد الأليم ، لذلك نقرأ عنهم هذه الكلمات « وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل . . . فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة » أع ٨ : ١ و ٤

لقد جالوا مبشرين بالكلمة ، ولم يسكتهم الاضطهاد العظيم عن المناداة بالإنجيل ، هذا الإنجيل الذى قال فيه رسول الأمم « لأنى لست أستحى بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودى أولا ثم لليونانى . لأن فيه معلن بر الله بإيمان لإيمان كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا » رو ١ : ١٦ و ١٧

جالوا مبشرين بالكلمة وشعارهم كلمات الرسول الجليل القائلة « فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلمت . نحن أيضاً نؤمن لذلك نتكلم أيضاً . عالمين أن الذى أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن أيضاً بيسوع ويحضرنا معكم » ٢ كو ٤ : ١٣ و ١٤

أما المسيحيون الأسميون الذين يعيشون فى هذا العصر الذرى المخيف ، فانهم لم يختبروا خلاص الله ، ولم يفهموا معناه ، لأنهم اعتمدوا على ديانة وراثية ، لم تمنحهم تجديداً ، ولم تعطهم نصرة ،

ولم تملأهم يقيناً مشرقاً ، ولم تشرق على قلوبهم بفرح الغفران ، وسلام التبرير .

وفى اعتقادى أنه لو أعطى خدام الله لهؤلاء المسيحيين الإسميين مفهوما حقيقياً للخلاص ، وساعدوهم بالنعمة ليدركوا المعانى المتضمنة فيه بحسب الكتاب المقدس ، ثم طلب كل واحد منهم الخلاص واختبره فإننا عندئذ سنسمع كل شخص من الذين نالوا خلاص الله يقول بصدق ويقين « أتكلم بشهاداتك قدام ملوك ولا أخزى » مز ١١٩ : ٤٦ وسنرى تيار الكرازة بإنجيل الخلاص وهو يجرف العالم الأثيم بقوته من جديد .

لذلك يجدر بنا ونحن نعالج هذا الموضوع الخطير: موضوع « يقين الخلاص » أن نبدأ بشرح معنى الخلاص بحسب مفهوم كلمة الله .

والواقع أن كلمة الخلاص فى اللغتين العبرانية واليونانية ، تعنى النجاة ، والأمان ، والحفظ ، والشفاء ، والصحة .

فالإنسان الخاطىء فى حاجة إلى النجاة من سلطان الشيطان ، والأمان من دينونة الله العادلة ، والحفظ فى يد المسيح القوية ، والشفاء من لعنة الخطية ، والصحة الروحية التى تكفل له القوة والانتصار ، وهو يجد فى خلاص الله كل هذه البركات .

وقد تجمعت فى كلمة « الخلاص » الفريدة كل تدبيرات الله ، فهى تحوى التبرير ، والتبنى ، والفداء ، والكفارة ، والغفران ، والتقديس ، والتمجيد . وفى عبارة واحدة نقول : إنها تحوى كل خطة الله بالنسبة للإنسان .

ذكر قسيس جليل فى كتاب له هذه القصة قال « تقابلت فتاة من جنود « جيش الخلاص » بإنجلترا مع الأسقف « وستكوت » وسألته : هل حصلت على الخلاص يا سيدى ؟ كان الأسقف عالماً كبيراً فى اللغة اليونانية ، كما كان مؤمناً بالرب يسوع المسيح ، فنظر إليها بابتسامة مشرقة لم تفارقه منذ كرّس حياته للمسيح وقال :هل تقصدين Esothen أو Sezomenos أو Sothesomai وإذ لاحظ الأسقف الوديع على الفتاة الصغيرة الحيرة والارتباك ، استطرد قائلا : « اسمعى أيتها الابنة العزيزة ، إن هذه الكلمات اليونانية التى وردت فى العهد الجديد ، ترجمت إلى الكلمات « خلص ـ يخلص ـ سيخلص » فالشخص الذى يقبل الرب يسوع المسيح كمخلصه الشخصى يكون قد « خلص » من عقاب الخطية وهذا يختص بماضى المؤمن ، و « يخلص » أى يتحرر من عبودية وسلطان الخطية وهذا أمر يختص بحاضر المؤمن ، وعندما يأتى الرب يسوع من السماء « سيخلص » من الجسد الترابى ، ويلبس الجسد السماوى ، وهذا أمر يختص بمستقبل المؤمن .

أما بخصوص سؤالك الموجه إلى شخصى ، فأقول وقلبى ممتلىء بالشكر لله : « إنى بنعمة الله قد خلصت ، وإنى مخلَّص ، وإنى سأخلص حين يأتى الرب » .

شكرت الفتاة المؤمنة ، الأسقف المختبر ، ومضت فرحة لأنها حصلت على معرفة أعمق لموضوع « الخلاص العجيب » .

والآن إلى المعانى الثمينة التى يحتويها « خلاص الله » بل إلى البركات العظمى التى يقدمها لنا الله بنعمته فى خلاصه العظيم .

— ١ —

المعنى الأول للخلاص هو غفران الخطايا

يقيناً أن أول ما يهم الخاطىء الذى استيقظ ليرى نجاسة شفتيه ، وشر قلبه، واستحقاقه للهلاك الأبدى هو أن يتيقن أن الله فى نعمته قد غفر كل خطاياه .

فالخطية ثقل رهيب على النفس التى تستيقظ لتحس بها ، وكل إنسان لا بد أن يستيقظ فى يوم ما ويشعر بثقل خطاياه .

إصغ إلى قايين بعد أن واجهه الله بخطيته الرهيبة وهو يقول « ذنبى أعظم من أن يحتمل » تكوين ٤ : ١٣

واستمع إلى أيوب فى عمق تجربته وهـــو يذكر آثامه مردداً « لأنك كتبت علىّ أموراً مرة وورثتنى آثام صباى » أيوب ١٣ : ٢٦

وأنصت إلى داود وهو يحس بعظم آثامه فيقول « لأن آثامى قد طمت فوق رأسى . كحمل ثقيل أثقل مما أحتمل » مزمور ٣٨ : ٤

وانتبه إلى كلمات أشعياء بعد أن رأى رب الجنود ، فرأى آثامه وهو يقول « ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عينى قد رأتا الملك رب الجنود » أش ٦ : ٥

إن الخطية هى سر قلق النفس البشرية ، والإنسان الخاطىء غير المغفور الإثم هو إنسان شقى ، تعس ، مضطرب ، يربض الخوف فى أعماق قلبه ولو بدا سعيداً أمام الآخرين ، يقض مضطجعه الإحساس بثقل آثامه وبشاعة خطاياه ، ولذا فإنه لا توجد بركة يتمتع بها إنسان يعيش على هذه الأرض تفوق بركة غفران الخطايا كما يترنم داود فى المزمور قائلا « طوبى للذى غفر إثمه وسترت خطيته . طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية » مزمور ٣٢ : ١ و٢

ذات يوم كان المسيح له المجد فى زيارة رجل فريسى ، وجاءت إليه امرأة خاطئة ، عرفت فى مدينتها بسوء سمعتها ، ونجاسة حياتها ، جاءت بعد أن أتعبتها الخطية ولوثت كيانها ، وحطمت شخصيتها ، تطلب الراحة والغفران ، ويسجل لوقا البشير هذه الحادثة فى هذه الكلمات « وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسى واتكأ . وإذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكىء فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب . ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب . فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك تكلم فى نفسه قائلا لو كان هذا نبياً لعلم من هذه الامرأة التى تلمسه وما هى . إنها خاطئة . فأجاب يسوع وقال له ياسمعان عندى شىء أقوله لك . فقال قل يامعلم . كان لمداين مديونان . على الواحد خمسمئة دينار وعلى الآخر خمسون . وإذ لم يكن لهما مايوفيان سامحهما جميعاً . فقل أيهما يكون أكثر حباً له . فأجاب سمعان وقال : أظن الذى سامحه بالأكثر . فقال له بالصواب

حكمت . ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان أتنظر هذه المرأة . انى دخلت بيتك وماء لأجل رجلىّ لم تعط . وأما هى فقد غسلت رجلىّ بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها . قبلة لم تقبلنى . وأما هى فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلى . بزيت لم تدهن رأسى . وأما هى فقد دهنت بالطيب رجلى . من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً . والذى يغفر له قليل يحب قليلا. ثم قال لها **مغفورة لك خطاياك** .فابتدأ المتكئون معه يقولون فى أنفسهم من هذا الذى يغفر خطايا أيضاً . فقال للمرأة إيمانك قد خلصك . اذهبى بسلام ، لوقا ٧ : ٣٦ - ٥٠

والقصة ترينا امرأة حزينة على خطاياها ، نادمة على نجاساتها الكثيرة ، تحس إحساساً عميقاً بثقل أوزارها . . وإذ بالرب الذى يعرف القلوب يخلصها من هذا الحزن ، وذلك الإحساس فيقول لها « مغفورة لك خطاياك ... إيمانك قد خلصك . اذهبى بسلام » لو ٧ : ٤٨ و ٥٠ وفى هذه الكلمات نرى بوضوح « الخلاص : بمعنى غفران الخطايا » ، فعندما ينال الانسان خلاص الله ، يغفر الله خطاياه .

والآن ماذا يعنى غفران الخطايا ؟

إن الكتاب المقدس يذكر خمسة آيات تحوى فى مجموعها المعنى الكامل الغفران وترينا بكيفية صريحة أن غفران الخطايا يعنى :

أولا : إن الله يطرح خطايا المؤمن بالرب يسوع المسيح فى أعماق البحر .

ثانياً : إن الله يطرح خطايا المؤمن بالرب يسوع المسيح وراء ظهره .

ثالثاً : إن الله يمحو خطايا المؤمن بالرب يسوع المسيح كما تمحى السحابة الثقيلة .

رابعاً : إن الله يبعد خطايا المؤمن بالرب يسوع المسيح عن مرتكبها كما أبعد المشرق عن المغرب .

خامساً : إن الله لا يعود يذكر خطايا المؤمن بالرب يسوع المسيح فيما بعد .

المعنى الأول للغفران

هو طرح جميع خطايا المؤمن المتجدد فى أعماق البحر

يقول ميخا النبى فى ختام سفره « يعود يرحمنا يدوس آثامنا وتطرح فى أعماق البحر جميع خطاياهم » ميخا ٧ : ١٩

ذات يوم كان الدكتور « جوردن » من بوستون يعظ عن هذه الآية ونسى أن يذكر فى عظته عبارة « فى أعماق » إذ قال إن الله يطرح فى البحر جميع خطايا المؤمن بالرب يسوع المسيح ؛ فلما ذهب إلى البيت قال له ابنه الصغير الذى كان يبلغ من العمر أربع سنوات : لماذا لم تخبر الناس يا بابا أن الخطية ثقيلة كالرصاص وأنها تغوص فى أعماق البحر فلا يعود يراها أحد ؟ . . . إن الناس قد يخالجهم الظن بأن الخطايا كالفلين تطفو على سطح الماء فيراها

الآخرون ، لأنك لم تقل لهم إن الله يطرحها فى أعماق البحر فلا يعود يراها أحد.

لقد أراحنا الرب فى محبته من هذا التفكير فقال لنا إنه يطرح فى « أعماق البحر » جميع الخطايا . فليذهب الشيطان إلى الأعماق ليعيد هذه الخطايا إن كان ذلك فى وسعه . . فهو لن يستطيع .. إن أعماق البحر مكان لا تطفو منه الخطايا ، إن هناك مناطق فى قاع البحر لم يستطع إنسان أن يسبر غورها . والله لم يطرح فى « عمق » البحر جميع خطايانا بل فى «الأعماق» التى لا يستطيع أحد أن يصل إليها .

قال جون بنيان ذلك الرجل المعمدانى التقى مؤلف كتاب سياحة المسيحى : « شكراً لله ، إنه طرح فى أعماق البحر خطايانا ، ولم يطرحها فى النهر ، لأنه لو طرحها فى النهر فقد يجف النهر ثم يجدها الناس فى قاعه ، ولكن البحر لا يجف أبداً » .

أذكر عبارة « جميع خطاياهم » فالله لا يطرح فى أعماق البحر بعض خطايانا ، ولا معظم خطايانا ، ولكن جميع خطايانا . . . أليس هذا شيئاً بهيجاً للنفس المؤمنة ؟

من بين القصص التى ذكرها أحد خدم الله الأتقياء قصة عن شاب نال خلاص الله ، ومن فيض الفرح الذى امتلأ به كان كثير الحمد والترنيم ، فاعتقد أفراد أسرته أنه قد أصيب باختلال فى قواه العقلية ، فأخذوه بالرغم منه إلى طبيب للأمراض النفسية .. وضعه الطبيب فى مستشفاه فى غرفة وحده .. وأبعد عنه الكتاب المقدس وكتب الترنيم ، وأعطاه كتاباً من كتب « الجغرافيا » .

وشرع الشاب يقرأ ذلك الكتاب ، وفجأة سمع الطبيب صوته وهو يهتف ويرنم بصوت عظيم ، فأسرع إليه يسأله عن سبب هتافه،فأجاب . لقد قرأت فى كتاب الجغرافيا هذا بأنه يوجد أماكن فى البحار العظمى لم يقدر البشر أن يعرفوا أعماقها بمقاييسهم ، وذكرنى هذا بالوعد الإلهى المبارك « وتطرح فى أعماق البحر جميع خطاياهم » فقلت فى نفسى إذا كان فى البحار أماكن لم يتوصل الباحثون إلى أعماقها بواسطة مقاييسهم . فكم بالحرى تكون أعماق بحار نعمة الله الغنية ، هذا معناه أن الله طرح جميع خطاياى فى مكان لن تطفو منه أبداً . لهذا أنا أهلل ، وأفرح ، وأرنم ... وأشكر الله . . فهل حصلت على هذا اليقين البهيج أيها العزيز؟!

المعنى الثانى للغفران

هو طرح كل خطايا المؤمن وراء ظهر الله

بعد أن شفى حزقيا الملك من مرضه الخطير بقوة الصلاة ، كتب كتابة جميلة سجل فيها هذه الكلمات « هوذا السلامة قد تحولت لى المرارة وأنت تعلقت بنفسى من وهدة الهلاك فإنك طرحت وراء ظهرك كل خطاياى » إشعياء ٣٨ :١٧ يقول الواعظ الأمريكى الأشهر « دوايت لايمان مودى » : هناك طريقان لستر الخطية — طريقان فقط — « طريق الله » و « طريق الإنسان » ومنذ ستة آلاف سنة والإنسان يحاول أن يستر خطاياه ولكنه لم يفلح فى هذا الأمر . لقد حاول آدم أن يستر خطيته فى جنة عدن بأوراق التين ، وباختبائه وراء الأشجار ، وحاول ذلك قايين ابنه خارج الجنة ،

والبشر على مر العصور يحاولون ستر خطاياهم ، ويمكنك أن ترى هذه المحاولات فى جميع الطبقات بغير استثناء ، إنك تراها فى الطبقات الدنيا ، وفى الطبقات العليا ... فى الملوك على عروشهم ، والكهنة وراء المذابح ، والأنبيـــاء والفلاحين ، والأغنياء ، والفقراء ... إنهم جميعاً يحاولون ستر خطاياهم ... بعضهم يختبىء وراء شجرة الآداب ، وبعضهم يختبىء وراء شجرة التدين الكاذب ، وبعضهم يختبىء وراء شجرة الثقافة والعلم ، إنهم جميعاً يحاولون ستر خطاياهم ، وكلهم قد فشلوا فى محاولاتهم فشلا ذريعاً ، إذ لا يوجد إنسان قد نجح فى ستر خطيته عن عينى الله ، وفوق ذلك فإننا نقرأ كلمات الكتاب المقدس القائلة « من يكتم خطاياه لا ينجح » أم ٢٨ : ١٣

وليس عندى أدنى شك فى أن السبب الذى من أجله يعيش الكثيرون حياة مضطربة ، عاصفة هو أن هناك خطية لعينة فى حياتهم ، وهذا الحديث ليس للأشخاص العالميين فقط ، بل هو حديث موجه إلى أعضاء الكنائس غير المتجددين .

لماذا نجد الكثيرين من المذنبين مدنياً من أعضاء الكنائس ؟ لماذا نجد بين أعضاء الكنائس ، لصوصاً ، ومرتشين ، وزناة ، وسكيرين ؟ ! إن السبب هو أنهم يحضرون الكنيسة ويجلسون لسماع الخدمة ، ويسمعون كثيراً من المواعظ ضد الخطية ، لكن قلوبهم لا تتأثر ، وهم ينسون أن عندهم خطايا يجب أن يتوبوا عنها ، ولذا فإنهم يعيشون على مقاعد الكنائس وهم خطاة غير متجددين .

إن النفس لا يمكن أن تكون متمتعة بالصحة الروحية طالما

كانت تحتفظ بخطية . . إن الخطية مادة غريبة عن النفس ، إنها تماماً كرصاصة تدخل الجسم ، فالجسم لا يستطيع أن يكون صحيحاً طالما به هذه الرصاصة .

إن الله لا يريد أن ينتعش الشرير لأنه قال « ويل للشرير شر . لأن مجازاة يديه تعمل به » إش ٣ : ١١

عندما يكون الشخص مستعداً للإقرار بخطاياه وتركها ، عندئذ يسترها الله ، وعندما يستر الله خطية إنسان فلن يراها أحد أو يجدها لا فى الزمان الحاضر ولا فى الأبدية .

وما أجمل الكلمات التى نطق بها حزقيا الملك « فإنك طرحت وراء ظهرك كل خطاياى » ، إنها تنطبق على اختبار كل مؤمن بالرب يسوع ، فالله قد أحب نفس المؤمن وتعلق بها وأنقذها من وهدة الهلاك ، وطرح وراء ظهره كل خطايا المؤمن .

لو أن الله يطرح الخطايا وراء ظهر المؤمن ، إذن لاستطاع أصغر شيطان أن يجدها قبل ذهابه إلى فراشه ، ولاستطاع أن يزعج المؤمن كل الإزعاج ، ولكن شكراً لله إن الشيطان لا يستطيع أن يذهب وراء ظهر القادر على كل شىء . .

ويقيناً ان التعبير « وراء ظهرك » هو تعبير مجازى يقصد به أن الله من فرط محبته لنا فى المسيح ، وضع كل خطايانا فى مكان لا يعود يراها فيه أبداً . ونذكر هنا عبارة « كل خطاياى » فالله يطرح « كل خطايا » المؤمن بالرب يسوع المسيح وراء ظهره ، وليس معظمها ، ولا بعضها . . بل كلها . مبارك اسمه إلى الأبد .

المعنى الثالث للغفران

هو أن الله يمحو خطايا المؤمن كما تمحى السحابة السوداء

أعطى الله الوعد المبارك فى سفر إشعياء « قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك » إش ٤٤ : ٢٢

إن الخطية كالسحابة السوداء تفصل الإنسان عن الله ولذلك يسجل إشعياء هذه الكلمات « ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع . بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع . لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم . شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر . ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق . يتكلون على الباطل ويتكلمون بالكذب . قد حبلوا بتعب وولدوا إثما . فقسوا بيض أفعى ونسجوا خيوط العنكبوت . الآكل من بيضهم يموت والتى تكسر تخرج أفعى . خيوطهم لا تصير ثوبا ولا يكتسون بأعمالهم . أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم فى أيديهم . أرجلهم إلى الشر تجرى وتسرع إلى سفك الدم الزكى . أفكارهم أفكار إثم . فى طرقهم اغتصاب وسحق . طريق السلام لم يعرفوه . وليس فى مسالكهم عدل . جعلوا لأنفسهم سبلا معوجة . كل من يسير فيها لا يعرف سلاما » إش ٥٩ : ١ – ٨

هذه هى الخطية وهى تشوه شخصية الانسان ، وتحرمه من معرفة طريق السلام ، ولكن عندما يأتى الانسان تائبا ، واثقا فيما

عمله الرب يسوع المسيح لأجله على الصليب ، فإن الله يغفر خطيته ، بمعنى أنه يمحوها كما تمحى السحابة الكثيفة السوداء ، ولا تكون هناك سحابة بينه وبين السماء .. بينه وبين وجه الآب الحنون البسام ! !

إنك قد ترى غيمة فى المساء ثم تستيقظ فى الفجر فلا تجدها .. هل فى قدرتك أن تجد الغيمة الذاهبة ؟ ! يقينا : لا ! ربما تكون هناك غيوم أخرى لكن الغيمة التى ذهبت لن تعود للظهور مرة أخرى فى تاريخ البشرية ، والله يقول : إنه محا خطية المؤمن كما تمحى الغيوم السوداء ، والسحب الكثيفة ... وهكذا يشرق علينا بنور وجهه بعد أن يمحو خطايانا بدمه كما تمحى الغيوم .

أفلا تفرح وتبتهج بهذا أيها المؤمن المحبوب ؟ !

المعنى الرابع للغفران

هو أن الله يبعد خطايا المؤمن عن مرتكبها كبعد المشرق من المغرب

يرنم داود للرب فى المزمور المئة والثالث قائلا « كبعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا » مز ١٠٣ : ١٢

وما أعظم هذا الوعد بالنسبة لمن نال الخلاص .. لقد أبعد الرب معاصيه عنه كبعد المشرق من المغرب .

وهل فى قدرة أحد رجال الفلك أن يقول لنا : كم يبعد المشرق من المغرب ؟

إن الفلكيين يخبروننا أن سرعة الضوء هى ١٨٨,٠٠٠ ميل فى الثانية ، وأن بعض الأفلاك تسير منذ ستة آلاف سنة ولم يصلنا نورها بعد .

فكم يبعد المشرق عن المغرب بالنسبة لبعد الأفلاك عن الأرض؟ أنا لا أستطيع التكهن .. ولكن فكر فى هذا ... إن الله فى نعمته الغنية التى أنعم بها علينا فى المحبوب ، يأخذ خطايا المؤمن بالرب يسوع المسيح ويضعها بعيداً عنه بمقدار بعد المشرق عن المغرب .

أفلا يحق للمؤمن أن يهتف ويهلل ويبتهج ؟

المعنى الخامس للغفران

هو أن الله لايعود يذكر خطايا المؤمن ولاتعدياته فيما بعد

نقرأ فى سفر إشعياء هذا الوعد الجميل « أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى . وخطاياك لا أذكرها » إش ٤٣ : ٢٥

ونقرأ فى الرسالة إلى العبرانيين هذا الوعد الجليل « ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فى ما بعد » عب ١٠ : ١٧

من الأمور المسلم بها أن الله لا ينسى ، والكتاب المقدس يؤكد لنا أن « الله يطلب ما قد مضى » جا ٣ : ١٥

وفى المزمور الخمسين يؤكد الله للشرير أنه سيصف خطاياه أمام عينيه قائلا « وللشرير قال الله مالك تحدث بفرائضى وتحمل عهدى على فمك . وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامى خلفك . إذا رأيت سارقاً وافقته ومع الزناة نصيبك . أطلقت فمك بالشر

ولسانك يخترع غشا . تجلس تتكلم على أخيك . لابن أمك تضع معثرة . هذه صنعت وسكت . ظننت أنى مثلك . أوبخك وأصف خطاياك أمام عينيك . افهموا هذا يا أيها الناسون الله لئلا أفترسكم ولا منقذ . ذابح الحمد يمجدنى والمقوم طريقه أريه خلاص الله » مزمور ٥٠ : ١٦ - ٢٣

فمهما حاول الخاطىء أن ينسى خطاياه، وأن يهرب من ذكرها ، فلا بد أن يأتى اليوم الذى فيه يصفها الله أمام عينيه .

نشرت صحيفة الأهرام بعددها الصادر فى ٢٣ سبتمبر ١٩٦١ حادثة تؤكد هذا الحق الكتابى الصريح تحت عنوان « بعد ١٣ سنة ألقى القبض على القاتل » قالت الأهرام وهى تروى هذه الحادثة المثيرة :

« بعد ١٣ سنة كاملة ألقى رجال الشرطة القبض على قاتل محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وكان القاتل قد هرب من حارسه فى جلسة النطق بالحكم واختفى عن أعين الشرطة ، وحسب نفسه فى مأمن فتزوج وأنجب خمسة أولاد .. ولكنه فجأة وجد نفسه بين أيدى رجال العدالة .

وتبدأ القصة فى شهر فبراير عام ١٩٤٨ حين نمى إلى علم التاجر « شديد » أن زميليه يعاكسان شقيقته الممرضة ، وحمل التاجر سكينا وتربص لهما ليلا وهاجمهما بسكينه وأخذ يطعنهما حتى مات الأول ونقل الأخير إلى المستشفى فى حالة خطرة ، وأنقذت حياته وإنما بعد أن أصيب بعاهة مستديمة .

ألقى القبض على التاجر وأحالته النيابة إلى المحاكمة فاعترف بجريمته ، ونطق قاضى محكمة الجنايات بالحكم ضد المتهم وهو الأشغال الشاقة المؤبدة ،وأثناء نقله من دار المحكمة إلى السجن تمكن من مغافلة حارسه وهرب . وسافر إلى المنصورة وزعم أن اسمه « عصفور » وافتتح محلا للتجارة . . ولم يعرف أحد عنه شيئاً ، ونجح فى تجارته ثم تزوج من إحدى بنات البلدة وظل معها ١٣عاما أنجب خلالها خمسة أولاد .

ولم تنم أعين رجال الأمن . . ظلوا يبحثون عنه فى كل مكان ولمدة ١٣ سنة ، حتى توصلوا إلى معرفة مكانه ، وذهبت قوة ومعها نقيب إلى المنصورة ، وحاصر النقيب بقوته منزل المتهم وتقدم منه قائلا « مساء الخير يا شديد » . . وهنا سقط التاجر على الأرض مغمى عليه ، وعندما أفاق اعترف بقصته كاملة ، فاقتيد إلى القاهرة لتنفيذ الحكم الصادر ضده » .

فهل رأيت كيف يطلب الله ما قد مضى ؟ !

يحدثنا مستر مودى قائلا : « وصلت إلى حافة الموت مرتين ، فى المرة الأولى كنت على وشك الغرق ، غصت فى الماء ثم طفوت ثم غصت وطفوت .. وفى المرة الثالثة عندما غصت ، أحسست أنه فى سرعة البرق قد عادت إلى ذاكرتى جميع الأشياء التى قلتها وعملتها. إن كل تصرفات عمرى ازدحمت فى مخيلتى فى ثانية من الزمان .ولست أدرى السر فى ذلك ! !

وفى المرة الثانية وصلت إلى حافة الموت فى شيكاغو ، وللمرة الثانية عادت إلى ذاكرتى فى ثانية جميع تصرفاتى . . منذ طفولتى

الباكرة إلى تلك اللحظة الخطيرة التى واجهت فيها الموت .. كل كلمة نطقت بها .. كل كلمة سمعتها .. كل عمل قمت به .. كل هذا عاد إلى ذاكرتى فى لحظة كالبرق الخاطف .

ولكن ما أجد أن يعرف المؤمن بالرب يسوع المسيح أن الله لن يعود يذكر خطاياه ولا تعدياته فيما بعد .

إن الذين وثقوا فى عمل المسيح الكامل الذى أجراه على الصليب يستطيعون أن يهتفوا مرددين « الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا » كو ١ : ١٤

ويستطرد مستر مودى قائلا : منذ سنوات قابلت رجلا فى نحو الثانية والثلاثين من عمره فى شيكاغو ، وكان هذا الرجل قد هرب من كندا منذ اثنتى عشرة سنة بسبب جريمة ارتكبها ، وفى خلال هذه السنوات الطويلة كان الرجل يحاول أن يغطى خطيته ، ولكن خطيته كانت تلدغه فى الصباح والمساء ، وأخيراً طلب منى أن أنصحه ماذا يفعل ؟ فقلت له أن عليه أن يرد المغتصب ويعيد المال الذى سرقه ، وأن يعترف اعترافاً أميناً للرب بما ارتكب ، ويثق فى قوة دم المسيح المطهرة .

ويالمنظر دموع الفرح الذى جرت على خدى ذلك الرجل عندما عرف أنه يستطيع أن ينال الغفران ، وأن يستريح من حمل خطاياه .

لقد كانت الاثنتا عشرة سنة التى قضاها وهو يحاول كتم خطيته، رهيبة ومخيفة ، ولكنه بعد أن عزم على توبة صحيحة ، ووثق ثقة كاملة فى قوة دم الفادى نال فرح الغفران .

فلا تحاول أيها الخاطيء غير التائب أن تخبيء خطاياك أو تغطيها ، فإنك لن تستطيع أن تحفر قبراً عميقاً لخطاياك، إلا وتقوم منه هذه الخطايا ذات يوم . . إن الله سوف يلمس ينبوعاً سرياً فى ضميرك ثم يقول لك « يا ابنى اذكر » وعندئذ ستحدث ضوضاء فى داخل نفسك ثم تعود خطاياك لتصطف أمام عينيك واحدة واحدة.

فاحذر من مداعبة وخداع الخطية لئلا تهلكك الخطية .

يحتفظ لنا التاريخ بقصة عن مرسل ذهب إلى غابة من غابات الهند ، فوجد هناك نمراً صغيراً ما زال وليداً، ففكر فى أن يأخذه معه ويربيه فى دار الإرسالية كما لو كان كلباً . وأخذ المرسل النمر وبدأ يطعمه ويعتنى به إلى أن كبر . . وذات يوم بينما كان المرسل جالسا فى حديقة الدار يقرأ فى صحيفته مد يده كعادته وربت على رأس النمر . . وإذ بالنمر يلحس يد المرسل بلطف ، وقليلا قليلا أحس المرسل بأن قوة تخرج من جسمه دون أن يعرف السبب ، وفجأة انتبه فإذا به يجد يده تسيل منها الدماء . . وأدرك أن النمر ظل يلحس يده بلسانه الى أن سالت منها الدماء . . فغضب وأمسك بعصا ليضرب النمر، لكن النمر كان قد ذاق طعم الدم فثارت غريزته الوحشية وهجم على المرسل الذى رباه . . وافترسه .

هكذا الخطية . . يحتضنها الإنسان . . ويحاول سترها . . وفجأة تقتل الخطية الإنسان . تخدعه . . ثم تقتله كما يقرر ذلك بولس بالقول « لأن الخطية . . خدعتنى . . وقتلتنى » رو ٧ : ١١

إن أردت أن تمحى خطاياك تماما ينبغى أن تعزم على التوبة الحقيقية ، وأن تثق فى قوة دم المسيح المطهرة « اطلبوا الرب

ما دام يوجد . أدعوه وهو قريب . ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران » أش ٥٥ : ٦ و ٧

أساس غفران الخطايا

يقرر كاتب الرسالة إلى العبرانيين هذه الحقيقة « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » عب ٩ : ٢٢ ويهتف بولس الرسول فى رسالته إلى القديسين الذين فى أفسس قائلا « الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته » أفسس ١ : ٧

فالله قد غفر خطايانا على أساس أن المسيح مات من أجلنا ، كما يقول بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى الكنيسة التى فى كورنثوس « وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه . وبه أيضاً تخلصون . . . فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب » ١ كو ١٥ : ١-٤

فموت المسيح من أجل خطايانا ، وقبولنا الشخصى لهذا الحق الثمين هو أساس نوالنا الغفران .

من بين القصص المؤثرة ، قصة حدثنا بها جنرال انجليزى قال : « كنت فى خدمة الجيش فى الهند فى أثناء الثورة التى قامت هناك وكان فى خدمتى ولد صغير فى الثالثة عشرة من عمره ، وكانت وظيفته هى ضرب البوق فى كل صباح . . كان ذلك الغلام ضعيف البنية جداً

وكانت والدته من المولعات بقراءة الكتاب المقدس ، وكان والده شجاعا ، وقد مات ذلك الوالد الشجاع فى إحدى المعارك ، وبعد قليل ماتت زوجته من فرط التأثر عليه . . . وبموتهما صار ذلك الولد وحيداً فى تلك الفرقة . . كان قديسا صغيراً من أولئك الذين يهتمون بحضور اجتماع الصلاة أكثر من اهتمامهم بألعاب المعسكر الجذابة ،ولأجل حياته العالية صار هدفا للزمرة الشريرة من الجنود، ولاقى الكثير من المتاعب بسبب تدينه الرفيع ، لكنه لم يعبأ بالمتاعب بل استمر فى حياته المسيحية يعيش فى ذلك الوسط الشرير حياة الانتصار .

ومرت الأيام وذلك الغلام يتقدم فى حياته التقية وقدوته المثالية، وذات يوم أمرنا القائد أن نذهب إلى مكان بعيد للتمرن على اطلاق النار ، ولم أكن أريد أن آخذ معى ذلك الغلام ، لأنه كان ضعيف الجسم ، وكان المكان من الأماكن الرديئة المليئة بالمستنقعات ، وقد خشيت أن يصاب ذلك القديس بأذى ، لكن القائد قال لى « خذه معك ، فإن تأثيره العظيم له ضرورته فى هذه الأيام » .

كانت روح التمرد متفشية فى الفرقة ، وكانت هذه الفرقة تحوى عدداً كبيراً من أشر وأقسى الجنود ، وكان بعض هؤلاء الجنود قد قاموا بتحطيم لوحات التدريب الأمر الذى اضطرنا إلى إيقاف التمرين بضعة أيام .

كان تحطيم اللوحات أمراً خطيراً ، لذلك أمر القائد بالبحث عن الجناة ، وقرر أن يعاقبهم بأشد العقاب ليكونوا عبرة لغيرهم

من الجنود ، وظللنا فى بحثنا عن الجناة حتى اكتشفنا أنهم فى الخيمة التى كان أحد ساكنيها ذلك القديس الصغير .

كانت الخيمة تحوى أشر جنود الفرقة كما قلت ، فبدأنا فى استجوابهم واحداً واحداً فى مجلس عسكرى شكل لهذا الغرض . . كان واضحاً أن أحد هؤلاء الجنود هو المذنب الآثم الذى قام بذلك العمل الخطير ، ولكن أحداً منهم لم يرد أن يعترف . . عجزنا عن اكتشاف المجرم ، وأخيراً نادى رئيس المجلس العسكرى وقال : « مما لا شك فيه أن المجرم الذى ارتكب الفعلة الشنعاء هو أحد رجال هذه الجماعة ، فإذا كان هذا الشخص رجلا جديراً بالرجولة فليخرج من الصف لينال عقابه عشر جلدات وليذهب الباقون أحراراً » سادت فترة صمت رهيب ، لكن أحداً لم يخرج ، وعاد رئيس المجلس العسكرى يقول « إذا خرج واحد منكم أيها الرجال وأخذ العقاب فسيذهب الباقون أحراراً ،وإلا فسأضطر أن أضربكم جميعاً ، البرىء والمذنب على السواء » .

وفى لحظة خاطفة خرج الغلام القديس وكان اسمه « ولى هولت » وكان قد بلغ الرابعة عشرة من عمره ، وقال مخاطباً رئيس المجلس « كولونيل .. لقد قلت بوضوح أنه إذا خرج واحد من هذه الفرقة وضُرب الجلدات العشر يذهب الباقون أحراراً . . وأنا أطالبك بتنفيذ كلمتك ، إننى سأجلد الجلدات العشر » .

ظهرت على وجه الكولونيل علامات الألم والاشمئزاز، والتفت فى غضب إلى الرجال الأشداء الواقفين أمامه وقال : « إنكم تعرفون أيها الجنود أن هذا الغلام ليس مذنباً ، أفلا توجد بقية من الشهامة

فى قلب المذنب الحقيقى ليخرج وينال عقابه بدلا من هذا الغلام الضعيف البرىء » .

لم يتحرك أحد من مكانه .. فاستطرد الغلام « ولى هولت» قائلا « لقد أعطيت كلمتك أيها الكولونيل ولا بد أن تنفذها » وفى ألم شديد أصدر الكولونيل أمره بربط الغلام وجلده .

ربطوه فى شجرة ، وبدأت الجلدات تنزل على ظهره النحيل ، واحتمل الغلام الجلدة الأولى ، والثانية حتى الرابعة ، وعند الجلدة الخامسة صعدت أنة ألم من بين شفتيه لم يستطع قلبه الشجاع أن يكتمها ، وعندئذ تقدم « جيم سكايز» وكان أشر رجل فى كل الفرقة حتى لقبوه بالخروف الأسود وهو يقول « قف يا كولونيل ، يجب أن أكون أنا فى هذا المكان ، هذا الغلام ليس مذنباً ، أنا المذنب» اربطنى بدلا عنه ودعنى أنال الجلدات التى أستحقها » .

لكن « ولى هولت» نظر إليه بوجهه الأبيض الشاحب، وابتسم وقال « لا يا جيم ، لقد نفذت كلمة الكولونيل فى جسمى ، وها أنا أحتمل العقاب ... أنت حر » ثم أغمى عليه من فرط الألم .

حملوه إلى المستشفى ، وذهب الكولونيل فى اليوم التالى ليطمئن عليه . . دخل الغرفة التى كان بها الغلام فى صمت وهدوء ، ولكنه وقف مشدوهاً عندما رأى الغلام نائماً فى سريره فى ضعف شديد ، وقد ركع أمامه على الأرض « جيم سكايز » ، وهو يقول « ولى . . . لماذا عملت هكذا ؟ وما الذى دفعك لكى تعمل هذا ؟ »

وأجاب ولى بابتسامة مشرقة «آه يا جيم ، إنى أريد أن أعرفك هذا ، لقد عملت ذلك العمل، وتحملت الجلدات المؤلمة ، حتى تعرف

أنت أن هذا هو ما عمله المسيح لأجلك ... لكنه عمل أكثر من ذلك بكثير ... أنا تألمت لأجل خطية واحدة ، أما هو فتألم لأجل كل خطايانا ، حمل كل الجلدات التى كنا نستحقها . . . وهو يحبك يا جيم » .

قال جيم « آه ، لا أظن أنه يحب أمثالى .. إننى ردىء للغاية » .
وعاد « ولى هولت » يقول فى صوت مؤثر « آه يا جيم . إنه يحبك ، ثق فيه ، إنه عمل على الصليب ، ما عملته أنا لأجلك ، لكن بصورة أكثر كثيراً جداً » وعندئذ أغمى على الغلام القديس العظيم وبعد أيام قليلة انطلق إلى المجد ليكون مع سيده .

أما « جيم سكايز » فقد قبل خلاص المسيح ، وتغيرت حياته تغييراً كاملا، وصار مثلا أعلى فى كل فرقته،وهكذا تأثر الكولونيل وتجدد نتيجة تصرفات ذلك الغلام .. لقد كان « ولى هولت » رسالة حية لسيده انطبقت عليه كلمات الرسول بولس القائلة « الآن يتعظم المسيح فى جسدى سواء كان بحياة أم بموت » فى ١ : ٢٠

فهل أدركت أيها القارىء المحبوب أساس الغفران ، وتيقنت أن الله يغفر خطايا من يقبل الرب يسوع المسيح لأجل خاطر الآلام والموت الذى تحمله المسيح .

إصغ إلى إشعياء وهو يصف لنا آلام المسيح وموته الفدائى قائلا « محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به . . . لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولا . وهو

مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه اثم جميعنا . ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه . من الضغطة ومن الدينونة أخذ . وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء أنه ضرب من أجل ذنب شعبي . وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن فى فمه غش » إش ٥٣ : ٣ - ٩

واستمع إلى بطرس الرسول وهو يردد « الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر . الذى بجلدته شفيتم » ١ بط ٢ : ٢٤ و ٢٥

وتعال لتسمع أغنية بولس الرسول وهو يهتف بها قائلا « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ . فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » غلاطية ٢ : ٢٠

وتيقن تماما أنه لأجل خاطر المسيح يغفر الله كل خطايا المؤمن الحقيقى . كما هو مكتوب « له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا » أعمال ١٠ : ٤٣

واذكر أن الرب يسوع المسيح لم يمت على الصليب لأجل

خطية آدم وحدها، بل مات لأجل خطايا البشرية .. لأجل خطاياك أنت بالذات .

وهذا ما يقرره الكتاب المقدس فى هذه الآيات الوضاءة اللامعة :

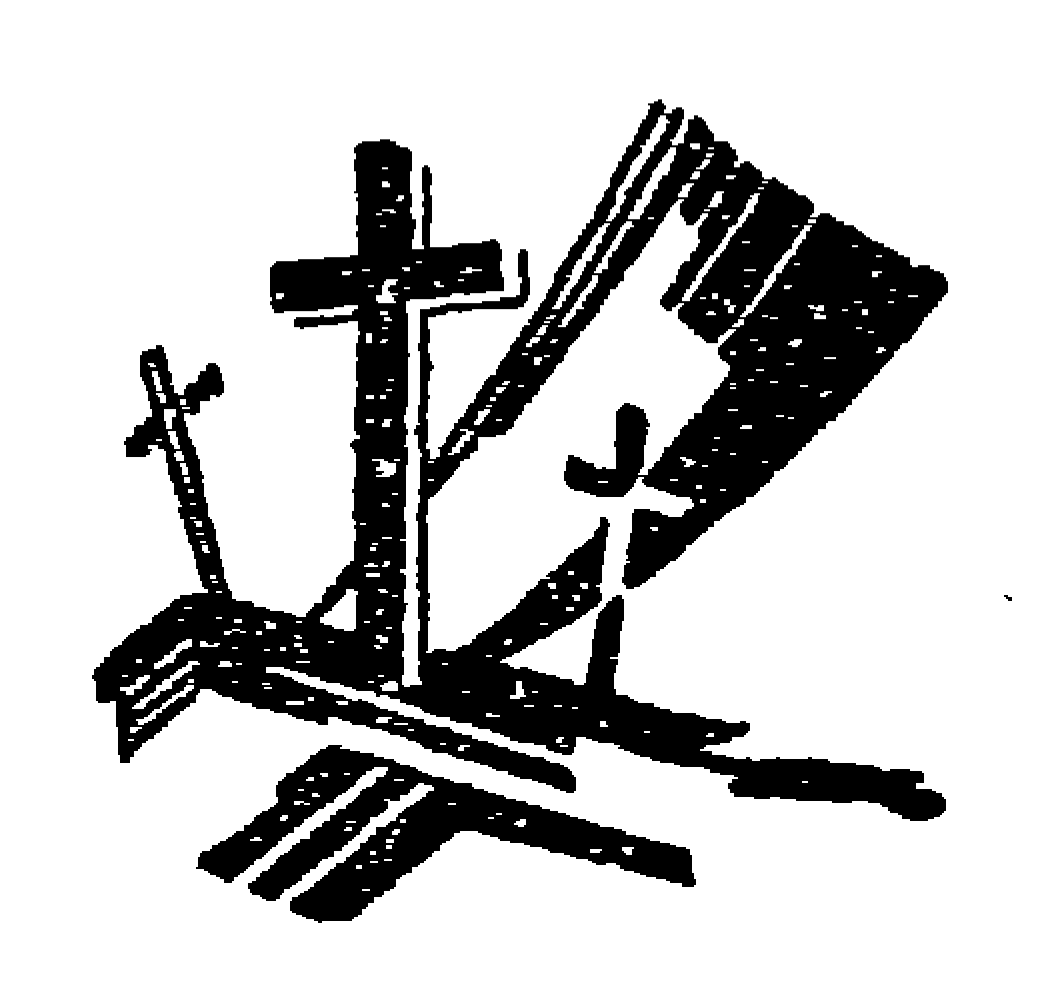
« فإن المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة لكى يقربنا إلى الله » ١ بط ٣ : ١٨

« إن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب » ١ كو ١٥ : ٣

« الذى بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا » غلا ١ : ٤

فهل وثقت فى أن المسيح مات على الصليب لأجلك ؟ وهل قبلته كالمخلص الشخصى لك ، ونلت غفراناً كاملا لخطاياك ؟؟

هذا هو أول معنى من معانى الخلاص « غفران الخطايا » وعن هذا المعنى قال زكريا عن ابنه يوحنا « لتعطى شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم » لو ١ : ٧٧



— ٢ —

المعنى الثانى للخلاص هو الميلاد الثانى

فى اللحظة التى يقبل فيها الخاطىء التائب الرب يسوع المسيح كمخلصه الشخصى ، ينال غفران الخطايا ويولد من الله ميلاداً ثانيا ، فالميلاد الثانى هو جزء جوهرى من خلاص الله .

وهذا ما يقرره بولس الرسول فى رسالته إلى تيطس قائلا «لأننا كنا نحن أيضا قبلا أغبياء غير طائعين ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين فى الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا بعضا . ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل **بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس** » تيطس ٣ : ٣ - ٥

وفى العهد الجديد نرى عدة حوادث تؤكد أن الشخص حين يقبل الرب يسوع المسيح تغفر خطاياه ، ويولد ميلاداً ثانيا .

شفاء المفلوج :

والحادثة الأولى هى حادثة شفاء المفلوج ، وقد ذكرها مرقس البشير فى هذه الكلمات : «ثم دخل كفر ناحوم أيضا بعد أيام فسمع أنه فى بيت . وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب . فكان يخاطبهم بالكلمة . وجاءوا إليه مقدمين

مفلوجاً يحمله أربعة . وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه من أجل الجمع كشفوا السقف حيث كان وبعد ما نقبوه دلوا السرير الذى كان المفلوج مضطجعا عليه . فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج يا بنى مغفورة لك خطاياك. وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكرون فى قلوبهم. لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف. من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده . فللوقت شعر يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم فقال لهم لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم أيما أيسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك . أم أن يقال قم واحمل سريرك وامش . ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا. قال للمفلوج لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك . فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بهت الجميع ومجدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط ، مرقس ٢ : ١ - ١٢

والحادثة ترينا مدى تقدير الرب للإيمان « فلما رأى يسوع إيمانهم» ، وتعلن لنا أن الرب وحده هو عارف حاجات البشر، وقد عرف حاجة الرجل المفلوج إلى راحة الغفران فقال له « مغفورة لك خطاياك » ، وترينا أن واهب الغفران هو أيضا خالق الحياة الجديدة ولذا فقد أعطى المفلوج الذى لا يقوى على الحركة ، حياة بها يقوم ويحمل سريره ويذهب إلى بيته «فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل » .

وفيما عمله الرب يسوع المسيح للمفلوج نستطيع أن نرى الخلاص فى وجهيه « غفران الخطايا » و « الميلاد الثانى » .

المرأة السامرية :

وحادثة مقابلة الرب له المجد المرأة السامرية تظهر لنا هذا الحق بصورة أكيدة ، فالمرأة السامرية كانت امرأة ذات ماض « كان لك خمسة أزواج والذى لك الآن ليس هو زوجك » يو ٤ : ١٨ ، ومع ماضيها الأسود فان معلوماتها الدينية كانت كثيرة، فهى تعرف أن اليهود لا يعاملون السامريين يو ٤ : ٩ ، وهى تعرف يعقوب وبئره يو ٤ : ١٢ ، وهى تعرف أيضاً الكثير عن السجود ، ومع هذا كله فانها كانت مثقلة الضمير بالأوزار .

وقد قادها الرب بنعمته إلى الاعتراف ، وأفهمها معنى السجود الحقيقى ، وغفر خطيتها ، وولدها ميلاداً ثانياً ، حتى أننا نقرأ عنها الكلمات « فتركت المرأة جرتها ومضت إلى المدينة وقالت للناس . هلموا أنظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت . ألعل هذا هو المسيح ؟ فخرجوا من المدينة وأتوا إليه » يو ٤ : ٢٨ و ٢٩

والقصة ترينا فى وضوح وجلاء أن الرب يهب النفس التى تتصل به نعمة « غفران الخطايا » وفى ذات الوقت يلدها « ميلاداً ثانياً » لتكون خليقة جديدة فى شخصه المبارك المجيد .

المرأة التى أمسكت فى زنا :

هذا يأتى بنا إلى الحادثة الثالثة التى ترسم لنا « الخلاص » فى كلا وجهيه ، وهى حادثة المرأة التى أمسكت فى زنا ونقرأها فى انجيل يوحنا فى هذه العبارات « ثم حضر أيضاً إلى الهيكل فى الصبح وجاء

إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم . وقدم إليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت فى زنا ولما أقاموها فى الوسط . قالوا يا معلم هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل ـ وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم . فماذا تقول أنت ؟ قالوا هذا ليجربوه لكى يكون لهم ما يشتكون به عليه . وأما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بإصبعه على الأرض . ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم مَن كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر . ثم انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتب على الأرض . وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين . وبقى يسوع وحده والمرأة واقفة فى الوسط فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة قال لها يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك . أما دانك أحد ، فقالت لا أحد يا سيد . فقال لها يسوع ولا أنا أدينك اذهبى ولا تخطئى أيضاً ، يوحنا ٨ : ٢ - ١١

والدارس الفطن يرى كيف يتعامل الناموس العادل مع الخاطىء « موسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم » [اقرأ تثنية ٢٢ : ٢٠ - ٢٤] فالخاطىء الأثيم لا يستطيع أن يجد رحمة على أساس الناموس ، ولكن الرب يسوع المسيح قد جاء بالنعمة والحق « لأن الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » يو ١ : ١٧ ونعمة الله هى الأساس الوحيد لغفران الخطايا ، وتجديد القلب . ونحن نرى العملين الإلهيين واضحين فى هذه الحادثة ، ففى كلمات الرب له المجد « ولا أنا أدينك » نرى

« غفران الخطايا » ، وفى كلماته الثمينة « اذهبى ولا تخطئى أيضاً » نرى « الميلاد الثانى » الذى به يعطى للمؤمن طبيعة جديدة تكره الخطية ، وتنفر منها ، وتنتصر عليها . فغفران الخطايا والميلاد الثانى عملان يتمان فى حياة من يقبل الرب يسوع المسيح فى وقت واحد « لحظة نوال خلاص الله » .

والآن إلى حديث الرب الواضح عن الميلاد الثانى :

وأول ما نود ذكره هنا أن الميلاد الثانى له عدة تسميات فى الكتاب المقدس فهو يسمى « الميلاد من فوق » يو ٣ : ٣ ، ويسمى « الميلاد من الماء والروح » يو ٣ : ٥ ، ويسمى « الميلاد من الروح » يو ٣ : ٦ ، ويسمى « تجديد الروح القدس » تيطس ٣ : ٥ ، ويسمى « الخليقة الجديدة » ٢ كو ٥ : ١٧ وغلا ٦ : ١٥ ، وأخيراً يسمى « الميلاد الثانى » ١ بط ١ : ٣ ، تيطس ٣ : ٥

ولقد كان حديث الرب له المجد عن « ضرورة الميلاد الثانى » مع « إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس » ، وفى هذا الحديث أكد الرب لنيقوديموس استحالة رؤيا ملكوت الله يو ٣ : ٣ أو دخول ملكوت الله يو ٣ : ٥ بدون « الميلاد الثانى » .

والآن ما هو ملكوت الله ؟

ذكر ملكوت الله فى العهد الجديد فى حالتين : فى الحالة الأولى باعتباره قد جاء فعلا وهذا تؤكده الكلمات ، ولما سأله الفريسيون متى يأتى ملكوت الله أجابهم وقال لا يأتى ملكوت الله بمراقبة .

ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك لأن ها ملكوت الله داخلكم» لوقا ١٧ : ٢٠ و ٢١

فقلب المؤمن المولود من الله هو حالياً «ملكوت الله» أو «مملكة الله».

وفى الحالة الثانية باعتباره سيأتى كما قال اللص الذى قبل الرب فى آخر لحظات حياته وهو على الصليب «أذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك» لو ٢٣ : ٤٢

وفى الحالتين يصف بولس ملكوت الله فى رسالته إلى القديسين فى رومية قائلا «لأن ليس ملكوت الله أكلا وشرباً. بل هو بر وسلام وفرح فى الروح القدس» رو ١٤ : ١٧

وحين يقبل الخاطىء التائب الرب يسوع المسيح كمخلصه الشخصى يولد ميلاداً ثانياً، وبهذا الميلاد الثانى يرى ويدخل ملكوت الله، وفى هذا الملكوت يتمتع المؤمن ببر المسيح الموهوب له ويهتف مع بولس الرسول قائلا «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» رو ٥ : ١، ويسكن الروح القدس فى قلبه فتظهر ثماره فيه «وثمر الروح هو.. فرح سلام» غلا ٥ : ٢٢ وعندما يأتى الرب سيملك معه فى ملكوته، ويردد فرحاً مع جماهير المفديين مرنماً لفاديه «مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة. وجعلتنا لإلهنا ملوكا وكهنة فسنملك على الأرض» رؤ ٥ : ٩ و ١٠

وصورة هذا الملكوت الآتى ، تظهر مجسمة فى منظر الرب على جبل التجلى ، ففى الملكوت سنرى « الملك ببهائه » كما يقول إشعياء « الملك ببهائه تنظر عيناك. تريان أرضاً بعيدة» إش٣٣: ١٧ ومعه سيكون القديسون الذين رقدوا ونراهم ممثلين فى موسى ، والقديسون الذين اختطفوا ونراهم ممثلين فى إيليا الذى ذهب إلى السماء دون أن يرى الموت ... أما التلاميذ الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا فهم يمثلون العبرانيين المخلصين الذين سيملك عليهم المسيح فى مجيئه الثانى [اقرأ لوقا ٩ : ٢٧ - ٣٦] .

ومع ذلك كله فان الميلاد الثانى هو البركة الوحيدة التى بها نصير أولاداً لله ، كما نقرأ فى انجيل يوحنا « وأما كل الذين قبلوه [أى قبلوا الرب يسوع المسيح] فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه . الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » يو ١ : ١٢ و ١٣

فما لم يولد الخاطىء ميلاداً ثانياً ، لا يحق له أن ينادى الله بالقول « يا أبا الآب » فهذا الامتياز لأبناء الله وحدهم كما يقول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية « ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب » غلا ٤ : ٦

ونضيف إلى ما تقدم حقيقة ثالثة هى أن الميلاد الثانى هو البركة الوحيدة التى بها نستطيع أن نكون ورثة الله وهذا ما يؤكده بولس فى الكلمات « إذاً لست بعد عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح » غلا ٤ : ٧

لقد كان الخطأ الذى وقع فيه الشاب الرئيس الغنى أنه سأل الرب قائلا « ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية » مرقس ١٩ : ١٧ ، ولو أنه فكر قليلا لأدرك أن الميراث لا يعطى بالأعمال بل بالبنوة فالأولاد الشرعيون وحدهم هم الذين يرثون، والذين صاروا أولاداً لله بالإيمان بالمسيح يسوع غلا ٣ : ٢٦ أصبحوا حسب الموعد ورثة .

والآن تعال معى إلى الأصحاح الثالث من انجيل يوحنا لندرس حديث الرب عن بركة الميلاد الثانى لنيقوديموس .

ويبدأ يوحنا البشير حديثه بالكلمات « كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس » يو ٣ : ١

فحديث الرب عن ضرورة الميلاد الثانى كان مع « إنسان » .

وماذا تعنى كلمة « انسان » ؟

إنها تعنى أن نيقوديموس كان من نسل آدم الساقط . . . كان إنساناً فاسداً كسائر البشر تتم فيه كلمات المزمور القائل « الرب من السماء أشرف على بنى البشر لينظر هل من فاهم طالب الله . الكل قد زاغوا معاً فسدوا . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » مز ١٤ : ٢ و ٣

وتنطبق عليه كلمات بولس الرسول « لأنه لا فرق . إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » رو ٣ : ٢٢ و ٢٣

وكل إنسان فى هذا الوجود هو فى ذات الموقف .. لسان حاله

يقول مع داود فى المزمور « هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » مز ٥١ : ٥ فهو إذن فى حاجة إلى بركة الميلاد الثانى .

وتعنى كلمة « إنسان » أيضاً أن نيقوديموس مولود من الجسد « والمولود من الجسد جسد هو » يو ٣ : ٦ ، « والجسد لا يفيد شيئا » يو ٦ : ٦٣ ، بل إن المولود من الجسد لا يهتم إلا بما للجسد « فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون » رو ٨ : ٥ « واهتمام الجسد هو عداوة لله » رو ٨ : ٦ و ٧ ، بل أن الذين « هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله » رو ٨ : ٨

وهذه الصفات تنطبق تماما على كل من لم يولد ميلاداً ثانيا من الروح القدس ، سواء كان مولوداً فى عائلة مسيحية من والدين تقيين ، أو مولوداً فى عائلة وثنية من والدين لا يعرفان الله . فالحقيقة الكبرى هى أن « المولود من الجسد جسد هو » يو ٣ : ٦

وكلمة « إنسان » تعنى مع كل ما تقدم أن « نيقوديموس » كان بطبيعته الإنسانية التى ولد بها ابناً للغضب كما يقرر ذلك بولس الرسول فى رسالته إلى القديسين فى أفسس قائلا « الذين نحن أيضاً تصرفنا قبلا بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً » أفسس ٢ : ٣

فالمولود من الجسد هو بالطبيعة ابن للغضب لا فرق بين إنسان وإنسان فى هذا الوصف المخيف .

وكلمة إنسان تعنى أخيراً أن « نيقوديموس » لم يكن يعرف كانسان طبيعى ما لروح الله كما يقول بولس « ولكن الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة . ولا يقدر أن يعرفه لأنه

إنما يحكم فيه روحياً » ١ كو ٢ : ١٤ فالإنسان الطبيعى جاهل بالأمور الروحية ولو كان معلماً كنيقوديموس .

ويستطرد يوحنا البشير فيقول لنا أن نيقوديموس كان من « الفريسيين » .

وماذا تعنى كلمة « فريسى » ؟

إنها تعنى أنه إنسان تعبد لله حسب مذهب العبادة الأضيق كما يصفه بولس قائلا « عالمين بى من الأول إن أرادوا أن يشهدوا أنى حسب مذهب عبادتنا الأضيق عشت فريسياً » أع ٢٦ : ٥ ، وهى تعنى أنه كان رجلا مدققاً فى تدينه يصوم مرتين فى الأسبوع ويعشر كل ما يقتنيه لو ١٨ : ١٢

ومع ذلك فإن تعبد هذا الرجل، وتدقيقه فى ديانته لم يغنياه بحال عن ضرورة الميلاد الثانى ... وفى سفر الأعمال نقرأ عن امرأة اسمها « ليدية » ، هذه الكلمات « فكانت تسمع امرأة اسمها ليدية بياعة أرجوان من مدينة ثياتيرا متعبدة لله » أع ١٦ : ١٤ ومع أن « ليدية » هذه كانت متعبدة لله ، إلا أنها كانت فى حاجة إلى الخلاص ولذا فنحن نقرأ عنها الكلمات « ففتح الرب قلبها لتصغى إلى ما كان يقوله بولس . فلما اعتمدت .. طلبت قائلة إن كنتم قد حكمتم أنى مؤمنة بالرب فادخلوا بيتى وامكثوا فألزمتنا » أع ١٦ : ١٥

إنك مهما كنت متعبداً لله ، ومدققا فى صومك ، وصلاتك ، ودفعك للعشور فانك فى حاجة إلى أن تولد الميلاد الثانى وإلا فلن تقدر أن ترى أو تدخل ملكوت الله .

ويتابع يوحنا حديثه قائلا إن نيقوديموس كان رئيسا لليهود .

وماذا تعنى كلمة « رئيس اليهود » ؟

إنها تعنى أنه كان عضواً فى مجلس السنهدريم ، المجلس الدينى الأعلى لليهود ويقول الرب فى حديثه لنيقوديموس « أنت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا » يو ٣ : ١٠ ، وهذا يعنى أن اليهود كانوا يذهبون إلى نيقوديموس فى طلب العلم والمعرفة الناموسية .

ومع كل هذه الصفات التى تحلى بها نيقوديموس فانه كان فى حاجة إلى الميلاد الثانى ، تماما كالسامرية ذات الماضى الأسود النجس الملوث بالأوزار .

وقد جاء « نيقوديموس » إلى الرب يسوع ليتعلم ، جاء تحت جنح الظلام ، جاء لأنه رأى فى المسيح « معلما » يستطيع أن يتعلم منه ليرقى حياته ، وقد أخطأ نيقوديموس لأنه أراد أن « يتعلم » قبل أن « يولد من فوق ميلاداً ثانيا » ، وهذا هو الخطأ الذى يقع فيه الكثيرون ، إذ يريدون أن يتبعوا المسيح كمعلم قبل أن يولدوا من جديد ، مع أن الحقيقة الكبرى هى أننا لا نخلص باتباع تعاليم المسيح ومثاله . بل نخلص بالميلاد الثانى الذى نناله بالإيمان بالمسيح المصلوب المقام « الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا » رو ٤ : ٢٥

ولقد قال الرب يسوع المسيح « للمعلم الاسرائيلى الفريسى » « الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » يو ٣ : ٣

وكأن ابن الله المبارك يقول للرئيس اليهودى ، الذى أراد أن يتعلم قبل أن يتجدد ، وأن يعتمد على بره الذاتى ، وعلمه اللاهوتى ،

ومركزه الروحى ، أن كل هذه المميزات لن تدخله ملكوت الله ، وأنه كانسان خاطىء يحتاج إلى أن يولد من فوق.. من الله. ليقدر أن يرى ملكوت الله . ويقيناً أن الرب فى حديثه الواضح الصريح هذا يؤكد لنا أن الإنسان مهما كان « متديناً » ، « مهذباً » ، « مثقفاً » ، « مؤدباً » لا يمكنه الدخول بهذه المؤهلات إلى ملكوت الله . . إن ملكوت الله لن يدخله إلا الذين نالوا طبيعة جديدة تتفق وطبيعة هذا الملكوت ، فكما أن السمك لا يمكنه أن يطير على أغصان الشجر إلا إذا أخذ طبيعة الطيور، وكما أن الطيور لا تستطيع أن تغوص فى الماء إلا إذا أخذت طبيعة الأسماك ، كذلك الإنسان لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله إلا إذا ولد ثانية وأخذ طبيعة تتفق والحياة فى ملكوت الله .

إن الميلاد الثانى ليس من عمل إنسان فى هذه الأرض ، إنه من فوق من السماء من عند أبى الأنوار ، ويخطىء خطأ جسيما من يعتقد أن الميلاد الثانى يمكن الحصول عليه بمعمودية الماء ، فلقد اعتمد سيمون الساحر بالماء ، على أساس إيمان عقلى . ومع ذلك فان بطرس الرسول يقول له « لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم ليس لك نصيب ولا قرعة فى هذا الأمر لأن قلبك ليس مستقيما أمام الله . لأنى أراك فى مرارة المر ورباط الظلم » أع ٨ : ٢٠ -٢٣

فمعمودية الماء ليست هى الوسيلة التى بها يولد المرء ميلاداً ثانيا، ولكنها الطريق إلى عضوية الكنيسة بعد أن يخلص الإنسان بالإيمان بالمسيح وهى تعنى الموت والدفن والقيامة مع الرب .

وهنا قد يسأل سائل : إذن ما معنى كلمات الرب لنيقوديموس « الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » يو ٣ : ٥ ، وألا تعنى كلمتى « الماء والروح » معمودية الماء .

ويقيناً أنه لو قصد الرب بهاتين الكلمتين معمودية الماء ، إذن لقالها صريحة كعادته ، فليس فى كل العهد الجديد إشارة واحدة إلى أن معمودية الماء هى ميلاد من الماء والروح ، بل أن معمودية الماء ذكرت فى العهد الجديد بأكمله باسمها البسيط المعروف [اقرأ مت ٣ : ١٣ - ١٦ ، ومت ٢٨ : ١٩ ، ومرقس ١ : ٤ و ٥ و ٩ ، ومرقس ١٦ : ١٦ ، ولوقا ٣ : ٣ و ٢١ ويوحنا ٣ : ٢٢ و ٢٣ ويوحنا ٤ : ١ و ٢ وأعمال ٢ : ٣٨ وأعمال ٨ : ١٢ و ٣٦ - ٣٩ وأع ٩ : ١٨ وأع ١٠ : ٤٧] وفى كل هذه الآيات الوضاءة اللامعة لا نجد آية واحدة تقول إن معمودية الماء هى الميلاد من الماء والروح .

إذن ما معنى الميلاد من الماء والروح ؟

يتوضح لنا معنى هذا الميلاد بالآية التى ذكرها بولس الرسول فى رسالته إلى تيطس قائلا « لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » تيطس ٣ : ٥

إن الماء يستخدم دائماً للغسل والتنقية ، وهو يشير إلى غسل المؤمن من خطاياه بواسطة كلمة الله كما يقول بولس الرسول فى رسالته إلى أهل أفسس « أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة » أفسس ٥ : ٢٥ و ٢٦

فالرسول بولس قال بكل جلاء فى هذه الآية إن « الماء » يشير إلى « الكلمة » ، وهو أمر نراه واضحاً خلال الكتاب المقدس كله .

فالميلاد من الماء والروح معناه الميلاد من كلمة الله عندما يستخدمها روح الله ، وقد جاء الماء فى سفر اشعياء كرمز صريح لكلمة الله وكواسطة للميلاد ونحن نقرأ هذا الحق فى الكلمات « لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطى زرعاً للزارع وخبزاً للآكل . هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع إلىّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فى ما أرسلتها له » اش ٥٥ : ١٠و١١

وفى كل صفحات العهد الجديد نجد أن الرسل والبشيرين قد علموا بأن كلمة الله هى واسطة الميلاد الثانى حينما يستخدمها روح الله.

فقال بطرس الرسول « مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد » ١ بط ١ : ٢٣

وقال يعقوب « شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه » يعقوب ١ : ١٨

وقال بولس الرسول لأعضاء كنيسة كورنثوس « لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح لكن ليس آباء كثيرون لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل » ١ كو ٤ : ١٥ مع أنه يقول لهؤلاء الأعضاء بالذات « أشكر الله إنى لم أعمد أحداً منكم إلا كريسبس وغايس » ١ كو ١ : ١٤ وفى هذا أكبر دليل على أن معمودية الماء ليست هى الميلاد الثانى ، وإنما الميلاد الثانى هو

بركة ينالها المرء بالإنجيل - أى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد .

إن الروح القدس لا يستخدم فى تجديد النفس سوى الحق الإلهى « لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته » عب ٤ : ١٢

وفى يوم الخمسين عمل روح الله بكلمة الله فى قلوب الذين وعظهم بطرس « فلما سمعوا نخسوا فى قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة . فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس . . فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » أع ٢ : ٣٧ و ٣٨ و ٤١ .

فتاة مؤمنة اسمها « مس جين هايد » حدثتنى باختبارها وهو يظهر كيف يعمل الله بروحه وكلمته فى تجديد النفس الراجعة إليه قالت : « تربيت فى عائلة مسيحية ، وكانت أمى سيدة تقية تعرف الرب ، أما أنا فعندما كبرت انجرفت مع تيار العالم ، وكنت أعمل ما أريد من خلف ظهر أمى ... كانت أمى تمنعنى من وضع المساحيق على وجهى ، فكنت أذهب إلى إحدى صديقاتى وأضع الأصباغ عندها ، وعند عودتى أغسل وجهى حتى لا تعرف أمى أفعالى ، وكان لى شغف كبير بالأفلام السينمائية ، وذات مساء وكان ذلك يوم أربعاء ذهبت إلى السينما مع زميلة لى ، وبعد خروجنا اقترحت زميلتى أن ندخل اجتماعاً تبشيرياً كان يعقد قريباً منا لنستهزىء بما يقوله الواعظ ، دخلت معها ، وجلست غير عابئة أتأمل الناس

الجالسين حولى ، وفجأة سمعت الواعظ يقول : « قد تتصرف كما تصرف يونان ، تحاول أن تهرب من الله ، وأن تخفى خطيئتك عن عينيه، وقد تقول إننى أذهب إلى مدرسة الأحد أو إلى الكنيسة . . وهذا يكفى . . كلا ، إن الله يرى خطاياك ، ويعرف كل شىء عن آثامك ... قد تنجح فى أن تستر خطاياك عن أمك أو أبيك أو أصدقائك ولكنك لن تستطيع أن تسترها عن عينى الله . . شعرت بإحساس غريب ، وتساءلت بينى وبين نفسى ، من عرّف هذا الرجل بتصرفاتى ؟ وسمعت بقية العظة وكان الرجل قد بدأ يوجه التفات السامعين إلى صليب الرب يسوع ، وقوته المخلصة ، وعملت كلمة الله فى قلبى ، وبكتنى روح الله على خطاياى . . ولما انتهى الاجتماع انتظرت وصليت طالبة الخلاص ، وخرج جميع الناس وأنا ما زلت أصلى إلى الله ، وبعد أن خرجت من الاجتماع قالت لى صديقتى : ماذا حدث لك ؟ قلت لها والفرح يملأ جوانحى : لقد نلت الميلاد الثانى من الله .

وبعد مدة من الزمان ، وقفت « مس هايد » وقصت اختبارها هذا فى اجتماع ما ، فوقف أحد الموجودين وكان خادماً من خدام الرب الأتقياء وقال لها : لما كنت طفلة فى المهد زرت جدتك ، وحملتك على ذراعى ، وقد طلبت جدتك أن أصلى لأجل خلاص نفسك ، وقد صليت معها لأجلك باجين ، وقلت للرب : يارب حينما تكبر جين ، وتصل إلى سن الفهم والمسئولية خلصها بنعمتك، وها أنت قد نلت خلاص الله .

إن الميلاد الثانى هو ميلاد معجزى وفجائى ، هو ميلاد معجزى لأنه يحدث بكيفية تفوق إدراكنا ، « الريح تهب حيث تشاء

وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب . هكذا كل من ولد من الروح » يو ٣ : ٨

ويقيناً أنه ليس فى وسع أحد أن يرى الريح بعينه المجردة ، لكننا كلنا نستطيع أن نرى عمل الريح ، وهى تحرك أغصان الأشجار، وتهدم المنازل بقوتها، وتغرق البواخر الضخمة بجبروتها.

إن أجهل إنسان لا يقدر أن ينكر قوة الريح . . وهكذا أيضاً فى الميلاد الثانى ، فهو من عمل الروح القدس الذى لا يرى لكن أنظر قوته العجيبة المجددة ، التى تجعل من الشخص النجس إنساناً طاهراً ، ومن الكاذب شخصاً صادقاً ، ومن اللص شخصاً أميناً ، ومن المجدف المضطهد المفترى خادماً وقديساً مضحياً . إن عمل الروح القدس عمل سرى فى القلب ، وهو عمل معجزى ... لكنه حقيقة أكيدة فى حياة كل من ولد من الروح .

وفوق ذلك فإن الميلاد الثانى عمل فجائى وليس إصلاحاً تدريجياً للحياة ، إنه يحدث فجأة فيغير حياة من يقبل الرب يسوع فى لحظة تغييراً عجيباً

حين وقف الرب يسوع أمام قبر لعازر . . كان لعازر ميتاً فى قبره . . كان جثة بلا حياة ولا حركة . . كان قد أنتن لأن له أربعة أيام فى القبر . . ولما رفعوا الحجر ، وفاحت رائحة الميت النتنة ، لم يقمه الرب من الموت بالتدريج .. لم يقل له: لعازر حرك يديك.. ثم بعد لحظة : لعازر حرك قدميك . . ثم بعد يوم : لعازر افتح عينيك . . بل صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجاً «فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل» يو ١١ : ٤٤

فالإصلاح التدريجى للعيوب والأخطاء تعليم كاذب لا أساس له فى كلمة الله ... الإصلاح الذى يقوم على أساس إبطال الشتيمة اليوم والتدرب على عدم الحلف باسم الله غداً .. ومحاولة إبطال الكذب بعد غد ، هذا الإصلاح ليس هو الميلاد الثانى بحال من الأحوال .

إن الميلاد الثانى بركة ينالها الإنسان بالإيمان فجأة ، فالرب يجدد الخاطىء الراجع إليه فى لحظة فى طرفة عين « الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» يو ٥ :٢٥ وكل الأمثلة الكتابية تؤكد لنا أن الميلاد الثانى عمل فجائى وليس بالتدريج ، فقد تجدد زكا فجأة إذ قبل المسيح فرحاً لو١٩ :٦ وتجدد ثلاثة آلاف شخص فجأة يوم الخمسين واعتمدوا بالماء وانضموا للكنيسة فى أورشليم أعمال ٢ : ٤١ ، وتجدد الوزير الحبشى فجأة وطلب أن يعتمد بالماء ، إذ آمن قلبياً أن يسوع المسيح هو ابن الله واعتمد بالتغطيس « ولما صعدا من الماء ... ذهب فى طريقه فرحاً » أع ٨ : ٣٩

أفلا يحق للمؤمن المولود من الله إزاء هذه الحقائق الثمينة أن يهتف مع بطرس الرسول قائلا « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم . أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » ١ بط ١ : ٣ - ٥

فى كتاب « المسيحى السعيد » كتب مؤلفه غير المعروف قائلا : تجدد رجل هندوسى فى الهند ، وكان يجهل القراءة والكتابة ، فكان

يطلب من الآخرين أن يقرأوا له الكتاب المقدس وكانت الآية التي يحبها هي « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» يو ١ : ١٢ ولذا فقد كان دائم الهتاف بالكلمات « أنا قبلت الرب يسوع ، لذلك « فأنا ابن لله » رجع الرجل الهندوسي إلى قريته ممتلئاً بيقين الخلاص وهو يردد « لقد صرت ابنا لله » وكانت شهادته بسيطة ومؤثرة ، فرغب أهل القرية في أن يصيروا جميعاً « أبناءً لله » مثله ، وقبلوا الرب يسوع كما قبله وهكذا ربح أهل قريته للمسيح ... لقد كان ذلك الهندوسي فقيراً وجاهلا ، ولكنه إذ تيقن من أنه قد أصبح « ابناً لله » واشتاق أن يحصل الآخرون على ذات الاختبار الذي ناله . . . نجح في ربح النفوس للمسيح .

بقيت عدة حقائق ينبغي ذكرها في ختام هذا الحديث :

الحقيقة الأولى : هي أن الإنسان المتجدد يبقى في داخله حتى بعد أن تولد ثانية : هذا هو السبب الذي من أجله يلد المسيحي المتجدد إبنا غير متجدد ، أن الطبيعة العتيقة باقية فيه ولذا فان أولاد المسيحيين لا يختلفون من حيث طبيعتهم عن أولاد غير المسيحيين إلا إذا قبلوا المسيح شخصيا ونالوا اختبار الميلاد الثاني .

ويقول ف . ب . ماير « عندما نولد ثانية يضع الروح القدس في داخلنا حياة جديدة ، حياة إلهية ، لكن الطبيعة القديمة التي تسمى « الجسد » في الكتاب المقدس لا تنتزع ، والشخص المتجدد يحمل في داخله الطبيعتين « الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد ».

غلا ٥ : ١٧ ، ووجود الطبيعة القديمة فى قلوبنا مع الطبيعة الجديدة يتبين من اندفاعنا نحو الخطية عندما تأتينا التجربة من الخارج ، قد يكون «الإنسان العتيق» ساكناً كالموت أمام قوة الحياة الجديدة المتزايدة ، لكنه ينتظر الفرصة لكى يسترد قوته ويظهر أعماله لخزينا وضررنا .

فلا تتجاهل وجود الطبيعة العتيقة فى داخلك ، بميولها الشريرة وامكانياتها لارتكاب الخطية ، لقد ضللت الكثيرين الفكرة القائلة بأن أصل الخطية قد انتزع من حياتهم ولذلك فانهم لا يمكن أن يعودوا ثانية للخطية ، وكانت نتيجة هذه الفكرة أنهم نكبوا بالإهمال ، والتراخى ، وعدم السهر ، وأمام ثورة «الإنسان العتيق» فيهم فجأة سقطوا وامتلأوا حزناً وخزياً .

هنالك فرق بين « جسد الخطية » وبين الخطايا ، فجسد الخطية هو أصل ومنبع الشر ، هو حياة الذات القديمة ، ويمكن اخضاع جسد الخطية بالنعمة ، وإماتة أعماله بالروح القدس ، لكنه يبقى فينا إلى أن نترك العالم الحاضر . . أما الخطايا فهى « أعمال جسد الخطية » هى المظاهر العملية للطبيعة القديمة التى فى الداخل ، ونحن نستطيع أن نخلص من هذه الخطايا يومياً بواسطة نعمة المسيح المخلص الذى قال عنه ملاك الرب ليوسف فى الحلم « وتدعو اسمه يسوع . لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » مت ١ : ٢١ وفى عبارة واحدة نقول : إن الإنسان العتيق لا يموت فينا ، وإنما نستطيع بالروح القدس أن نميت أعماله ، وأن نموت نحن عن الخطية ، وبذلك لا تثمر فى حياتنا ثمارها المريرة اللعينة » .

الحقيقة الثانية هي : أن الميلاد الثاني لا يحدث سوى مرة واحدة لا تتكرر في حياة المؤمن : إن الميلاد الثانى لا يتكرر .. أنه يحدث مرة واحدة فقط فى حياة المؤمن ، فكما يولد الإنسان مرة واحدة ولادة طبيعية من الجسد ، كذلك يولد كل من يقبل الرب يسوع المسيح بإيمان قلبى كمخلصه الشخصى مرة واحدة من الروح القدس . وبما أن المؤمن قد صار ابناً لله بالميلاد الثانى فمن الخطأ أن يصلى قائلا « يا رب اجعلنى أن أكون ابناً لك » . . تصور أن ابنك يأتى إليك متوسلا : يا بابا أرجوك أن تجعلنى ابنا لك . بماذا تجيبه؟ إنك ستقول له حتما: « أنت ابنى يا ولدى من اليوم الذى ولدت فيه فلا معنى أبداً لطلبك هذا » .

إن المولود من الله ينبغى أن تكون صلاته « يا أبانا السماوى ، إجعلنى مطيعا لإرادتك لأكون ابنا يفرح قلبك » .

الحقيقة الثالثة هي : أن عقيدة الميلاد الثاني بالمعمودية لا أساس لها البتة في الكلمة الإلهية : يقول جون رتشى فى كتابه Foundation Truths : إن الذين يؤمنون « بالتجديد العمادى » ينكرون كل الحقائق الكتابية الخاصة بالميلاد الثانى ، فعقيدة التجديد العمادى تقول إن الميلاد الثانى يحدث للطفل الذى لا يعى ولا يدرك عن طريق ماء المعمودية ، والواقع أن معمودية الأطفال لا يمكن أن تكون وسيلة للميلاد الثانى كما أنها لا سند لها فى الكتاب المقدس إطلاقا ، لا فى أوامر الرب الصريحة ، ولا فى

المثال الذى مارسه الرسل ، ولكنها عمل اخترعته الكنيسة المرتدة حين ابتعدت عن التعاليم الأساسية للإنجيل ، وانحرفت عن الكتاب المقدس مفضلة عليه تقاليدها الخاصة .

كيف يمكن لإنسان أن يمارس هذا العمل الخادع ، ثم يقول فى ذات الوقت إنه يؤمن بالكتاب المقدس ؟ .. هذا ما يحيرنى !!

وكيف يمكن لإنسان يعتقد أنه ولد الميلاد الثانى بالمعمودية أن يستمع بجد وتفكير عندما يكبر إلى صوت الرب القائل « ينبغى أن تولدوا من فوق » يو ٣ : ٧ ؟

إن القديسين المخلصين للرب يرفضون بشدة كل تعليم مخالف لكلمته ، ويعودون فى اتضاع إلى الكتاب المقدس ليطلبوا نوره وإرشاده فى كل ما يخص حياتهم الروحية والأبدية .

والكتاب المقدس يؤكد أن الذى لا يولد الميلاد الثانى ، لابد أن يموت الموت الثانى الذى يعنى الطرح فى بحيرة النار . رؤيا ٢٠ : ١٤ و١٥ ويعلن أن الطريق الوحيد الذى به نصير أولاداً لله هو الإيمان بالمسيح يسوع « لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع » غلا ٣ : ٢٦

هذا هو خلاص الله الثمين فى وجهيه ، وهو يعنى فى وجهه الأول « غفران الخطايا » وفى وجهه الثانى « الميلاد الثانى من الروح القدس » فما أعظم هذا الخلاص وما أمجده .

— ٣ —

المعنى الثالث للخلاص هو الانقاذ

من سلطان الشيطان

عندما ظهر الرب يسوع المسيح لشاول الطرسوسي في طريق دمشق سقط شاول أمام لمعان نوره الإلهي على الأرض فقال له الرب « قم وقف على رجليك لأني لهذا ظهرت لك لانتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم . لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين » أع ٢٦ : ١٦ - ١٨ فكما يتضمن خلاص الله « غفران الخطايا » و « الميلاد الثاني » كذلك يتضمن « الإنقاذ من سلطان الشيطان » .

ويجدر بنا في هذا المقام أن نعرف شيئاً من أصل الشيطان وسر سقوطه، ومصيره النهائي ويعطينا حزقيال النبي وصفاً للشيطان قبل سقوطه في هذه العبارات « هكذا قال السيد الرب . أنت خاتم الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال . كنت في عدن جنة الله . كل حجر كريم ستارتك عقيق أحمر وياقوت أصفر وعقيق أبيض وزبرجد وجزع ويشب وياقوت أزرق وبهرمان وزمرد وذهب . أنشأوا فيك صنعة صيغة الفصوص وترصيعها يوم خلقت . أنت الكروب المنبسط المظلل وأقمتك . على جبل الله المقدس كنت بين حجارة

النار تمشيت . أنت كامل فى طرقك من يوم خلقت حتى وجد فيك إثم » حز ٢٨ : ١١ - ١٥

ويكشف لنا إشعياء النبي الستار عن سر سقوط هذا الكروب الكامل الجمال ، قائلا : « كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح ؟ كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم ؟ وأنت قلت فى قلبك أصعد إلى السموات أرفع كرسيي فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع فى أقاصي الشمال . أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العلى » إش ١٤ : ١٢ - ١٤

فإبليس قال فى قلبه أن يرفع كرسيه فوق كواكب الله ، ويصير مثل العلى ، ولكنه بدلا من أن يصير مثل العلى سقط من مركزه الكبير وأصبح عدواً لله ، وأسقط معه جمهوراً من الملائكة .

ويبدو أن الله لكى يظهر عدالته للملائكة القديسين ـ سمح فى حكمته التى يعسر على الإنسان فهمها ـ أن يعطى للشيطان فرصة يؤسس فيها لنفسه منطقة نفوذ ، ويصبح هو رأسها ، ويمكننا أن نقول إن منطقة نفوذ الشيطان هى الحكومة المعادية لله المكونة من جماهير الملائكة الذين سقطوا معه .

ويقول J. F. strombeck فى كتابه خلاص الله العظيم : « جاء الوقت الذى فيه خلق الله الإنسان ، وكان الانسان حين خُلق أحد رعايا حكومة الله . وقد أعطى الله للإنسان الذى خلقه قوة التسلط على الأرض التى أعاد تنظيمها وتجديدها ، وأخضع كل شيء تحت قدميه كما يقرر ذلك كاتب سفر التكوين فى الكلمات « فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها

وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض » تك ١ : ٢٧ و ٢٨

وعاش الإنسان فترة قصيرة من الزمن خاضعاً لخالقه ، مقدماً كل الولاء لشخصه العظيم القدوس ... ثم دخل الشيطان الجنة وخدع الإنسان ليتمرد على الله ، ويعصى وصيته ، ولا يصدق كلامه .

وعصى الإنسان الله !

وبهذا العصيان أعلن استقلاله عن خالقه ، واعتماده على ذاته .
لقد كان عصيانه تمرداً صريحاً ضد حكومة الله .

وبغير شك أنه عندما سمع الإنسان لصوت الشيطان ، أخضع نفسه لتأثيره ، وأصبح تحت حكمه وسلطانه .

لقد نقل ولاءه من الله إلى الشيطان ، وبهذه الكيفية سلم الإنسان الأرض التي سلطه عليها الله للشيطان . ومن ذلك الوقت صار الإنسان جزءاً من الحكومة المعادية لله .

وليس فى وسعنا أن ننكر سيادة الشيطان على ممالك العالم، فهذه السيادة تبدو واضحة فى كلمات الشيطان للمسيح حين جربه فى البرية إذ قال له بعد أن أراه جميع ممالك المسكونة فى لحظة من الزمان « لك أعطى هذا السلطان كله ومجدهن لأنه إلىّ قد دفع وأنا أعطيه لمن أريد . فإن سجدت أمامى يكون لك الجميع » لو ٤ : ٦ و ٧

ولم يعارض الرب يسوع المسيح إدعاء الشيطان فى سيادته على ممالك المسكونة ، لأن هذه الممالك صارت للشيطان حين أخضع الإنسان نفسه لحكمه ، ولهذا يكتب يوحنا الرسول قائلا « العالم كله قد وضع فى الشرير » ١ يو ٥ : ١٩

ويطلق الكتاب على الشيطان عدة تسميات فهو « سلطان الظلمة » كو ١ : ١٣ ، و « الكذاب » يو ٨ : ٤٤ ، و « رئيس هذا العالم » يو ١٤ : ٣٠ و« رئيس سلطان الهواء » أفسس ٢ : ١ و « الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية » ٢ : ١ و « التنين العظيم » و « الحية القديمة » و « إبليس » رؤ ١٢ : ٩ و « المشتكى على الإخوة » رؤ ١٢ : ١٠ و « قتال الناس » يو ٨ : ٤٤

ومنطقة نفوذ الشيطان يحكمها الكذب كما قال الرب « ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب » يو ٨ : ٤٤ لقد استطاع الشيطان بكذبه أن يربح ولاء الإنسان .

وهناك صفة أخرى لمنطقة نفوذ الشيطان وهى « الظلمة » فهو سلطان الظلمة كو ١ : ١٣ ، والخاضعون لنفوذه هم أيضاً ظلمة كما يقول بولس للقديسين فى أفسس « لأنكم كنتم قبلا ظلمة » أفسس ٥ : ٨ ، وأعمال الناس الذين يخضعون لحكمه تسمى « أعمال الظلمة » « ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى وبخوها » أفسس ٥ : ١١

ونجد فى الكتاب المقدس عدة تسميات للبشر باعتبارهم خاضعين لنفوذ الشيطان فهم « أبناء المعصية » أفسس ٢ : ٢ ، و « أبناء الغضب » أفسس ٢ : ٣ و « أولاد إبليس » ١ يو ٣ : ١٠ وهذه التسميات تنطبق على جميع الذين يعيشون فى دائرة نفوذ الشيطان وتحت سلطانه ، وهى لا تشير إلى الناس الأشرار جداً كما قد يحسب

البعض ، ولكنها تشير إلى كل من لم ينل خلاص الله ، ولم ينتقل بنعمته إلى ملكوت ابن محبته، ولذا فقد قال الرب له المجد للفريسيين وقد كانوا أكثر الناس تديناً ، واحتراماً ، وتكريماً « أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » يو ٨ : ٤٤

وينبغي أن لا يغرب عن ذهننا أن الشيطان مخلوق كامل الجمال ، وأنه يستطيع حتى بعد سقوطه أن يغير شكله إلى شبه ملاك نور ٢ كو ١١ : ١٤ ، ولذا فليس بغريب أن يجعل من أولئك الذين يخضعون لنفوذه أناساً مهذبين ، مؤدبين ، مثقفين ، لطفاء ، ليظهروا كاملين فى أعين الناس ، كما يقول بولس الرسول « فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر »٢ كو١١: ١٥

ويؤثر الشيطان فى أولئك الخاضعين له تأثيراً مخيفاً فيعمى أذهانهم لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح ، وهذا ما يقرره بولس فى الكلمات « ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم فى الهالكين الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله » ٢ كو ٤ : ٣ و ٤ وكم من مرة يتقابل خادم الله الأمين مع أناس قد وصلوا إلى أعلى درجات الثقافة العلمية ، ولكنهم من الناحية الروحية عميان ، قد طمست أذهانهم حتى لا يفهموا حقيقة الخلاص بالإيمان بالرب يسوع المسيح . إله هذا الدهر قد أعمى أذهانهم حتى لا يقبلوا رسالة الإنجيل .

من كل ما تقدم نرى أن عصيان الإنسان لله فى جنة عدن لم يكن مجرد ابتعاد عن الله ، وعن الاعتماد عليه ، ولكنه كان نقطة تحول

إلى الشيطان ، وقبولا لسيادته لنفسه ولنسله من بعده صرخ وخر صار الجنس البشرى كله خاضعاً لدائرة نفوذ الشيطان المظلمة . منك

وكان لا بد إذن أن يرتب الله طريقاً لخلاص الإنسان من حكم الشيطان ، حتى يعيده لنفسه .

وكان الله قد رتب كل شيء فى حكمته الأزلية قبل تأسيس العالم كما يقول بطرس الرسول « عالمين أنكم أفتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التى تقلدتموها من الآباء . بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم » ١ بط ١ : ١٨

وعندما سقط الإنسان فى جنة عدن ، وردت أول إشارة عن خلاصه بواسطة المخلص الآتى الذى سيسحق رأس الحية ، ونجد هذا الوعد بخلاص الإنسان من سلطان الشيطان فى الحكم الذى نطق به الرب على الحية بعد أن تسببت فى سقوط الإنسان إذ قال لها « وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » تك ٣ : ١٥

ويدرك القارىء الفطن أن الرأس هو مكان التفكير ، والسيادة ، وقوة السلطان ، ولذا فإن الكلمات « هو يسحق رأسك » تعنى تحطيم قوة الشيطان ، وإنقاذ الإنسان من سلطانه الرهيب القتال .

ولا جدال فى أن « نسل المرأة » هو الشخص الذى يولد من

عذراء ، لأن البشر أجمعين من نسل الرجل وإن كانوا مولودين من المرأة .

أما الرب يسوع المسيح فهو وحده « نسل المرأة » الذى حبل به من الروح القدس بكيفية معجزية ، وولد من مريم العذراء كما لم يولد إنسان ، وكما لا يمكن أن يولد إنسان من امرأة ، وفيه وحده تتم النبوة القائلة « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » إش ٧ : ١٤ ، فالرب يسوع المسيح هو المخلص الموعود به لإنقاذنا ، ولذا فقد أخذه سمعان الشيخ على ذراعيه وبارك الله وقال « الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام . لأن عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب » لو ٢ : ٢٨ - ٣١ .

وعندما بدأ الرب يسوع خدمته الجهرية دخل المجمع حسب عادته فى يوم السبت وقام ليقرأ . فدُفع إليه سفر إشعياء النبى . ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه روح الرب علىّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين [الذين أسرهم الشيطان] بالإطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية » لوقا ٤ : ١٦ - ١٨

وقد تمت هذه الكلمات فى « مجنون كورة الجدريين » الذى رحمه الرب فوهبه خلاصه الثمين ، وأنقذه بهذا الخلاص من سلطان الشيطان ، ويسجل لوقا البشير قصة هذا المجنون قائلا « وساروا إلى كورة الجدريين التى هى مقابل الجليل . ولما خرج إلى الأرض استقبله رجل من المدينة كان فيه شياطين منذ زمان طويل وكان لا يلبس

ثوباً ولا يقيم فى بيت بل فى القبور . فلما رأى يسوع صرخ وخر له وقال بصوت عظيم مالى ولك يا يسوع ابن الله العلى . أطلب منك أن لا تعذبنى . لأنه أمر الروح النجس أن يخرج من الإنسان . لأنه منذ زمان كثير كان يخطفه . وقد ربط بسلاسل وقيود محروساً . وكان يقطع الربط ويساق من الشيطان إلى البرارى . فسأله يسوع قائلا ما اسمك . فقال لجئون . لأن شياطين كثيرة دخلت فيه . وطلب إليه أن لا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية . وكان هناك قطيع خنازير كثيرة ترعى فى الجبل . فطلبوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها فأذن لهم . فخرجت الشياطين من الإنسان ودخلت فى الخنازير . فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحيرة واختنق . فلما رأى الرعاة ما كان هربوا وذهبوا وأخبروا فى المدينة وفى الضياع . فخرجوا ليروا ما جرى . وجاءوا إلى يسوع فوجدوا الإنسان الذى كانت الشياطين قد خرجت منه لابساً وعاقلا جالساً عند قدمى يسوع . فخافوا . **فأخبرهم أيضاً الذين رأوا كيف خلص المجنون** . فطلب إليه كل جمهور كورة الجدريين أن يذهب عنهم . لأنه اعتراهم خوف عظيم . فدخل السفينة ورجع . أما الرجل الذى خرجت منه الشياطين فطلب إليه أن يكون معه . ولكن يسوع صرفه قائلا : ارجع إلى بيتك وحدث بكم صنع الله بك . فمضى وهـــو ينادى فى المدينة كلها بكم صنع به يسوع »
لوقا ٨ : ٢٦ - ٣٩

والصورة ترينا ماذا يفعل الشيطان حين يمتلك الإنسان ، إنه يصيبه بالجنون ويعربه من الفضيلة ، ويجعل مسكنه مع الموتى فى القبور ، ولا يستطيع أحد أن يقيده أو يحد من عدوانه .

ويقول عنه مرقس البشير إنه «كان دائماً ليلا ونهاراً فى الجبال وفى القبور يصيح ويجرح نفسه بالحجارة» مرقس ٥ : ٥ فحين يملأ الشيطان حياة إنسان ، يجعله دائم الصراخ والصياح ، ويدفعه إلى تجريح جسده بالحجارة ، وفى عبارة واحدة نقول إنه يسلب منه إنسانيته ، وينحدر به إلى درك أحط من درك الحيوان .

لكن هذا المجنون تقابل مع الرب الذى جاء لكى يخلص الإنسان من سلطان الشيطان كما يقول يوحنا الرسول «لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال إبليس» ١ يو ٣ : ٨ ، وأنقذه الرب من قوة الشيطان ، وتغير الرجل المجنون وصار إنساناً جديداً ورآه الذين عرفوه فى ماضيه الأليم بعد أن خلص «لابساً وعاقلا جالساً عند قدمى يسوع» لو ٨ : ٣٥

ويصور المهندس «لندزى جلج» عودة هذا الرجل إلى بيته بعد أن خلصه الرب يسوع من أسر الشيطان قائلا :

نظرت زوجته فرأته آتيا فى الطريق ، فامتلأ قلبها رعباً . . وطلبت من أولادها أن يختبئوا وراء الأبواب ، وتحت الأسرة . وحتى «القطة» التى كانت فى البيت وارتها بعيداً حتى لا يعتدى عليها بجنونه . . أما هى فوقفت ترتعد داخل البيت . . وسمعت دقاته على الباب . . كانت دقات خفيفة رقيقة لم تعتدها منه . . وتساءلت : ماذا . . أهذا نوع جديد من الجنون ؟ وتقدمت إلى

الباب وقالت : من الطارق ؟ وسمعت صوته . . كان لطيفاً . . متزناً . . هادئاً يناديها : افتحى يازوجتى الحبيبة .

وفتحت الباب وتأملت وجه زوجها وعينيه . . كانت نظراته ثابتة رزينة ممتلئة بالحنان . . وكانت قسمات وجهه تحمل كل معانى العقل والاتزان . وهمست الزوجة الخائفة : ماذا حدث لك ؟

وشعر الرجل الذى أعاد الرب إليه عقله بخوفها ، فقال ليهدىء من روعها : لا تخافى منى . . لقد قابلت يسوع الناصرى . . وقد حررنى ، وخلصنى من سلطان الشيطان ، وأخرج اللجئون الذى كان يسكن جسدى . وانحدرت دموع الفرح من عينيه واستطرد قائلا : تصورى يازوجتى الحبيبة أن هذا الجسد كان يحوى من الأرواح النجسة ما لم يحتمله قطيع كبير من الخنازير .

لقد حررنى مخلصى وطلب منى أن أخبر بيتى وأهلى بكم صنع بى الرب ورحمنى . . والآن نادِ أولادى لأقبلهم بعد طول غياب . . ودعينى أحس سعادة الحرية ، وفرحة الخروج من الأسر .

وكأنما شعرت « القطة » التى فى البيت بالتغيير الذى حدث له ، فأسرعت إليه تتمسح فى قدميه .

وخرج أولاده الخائفون يرتمون فى أحضانه ويستمتعون بقبلات شفتيه . لقد سحق الرب له المجد رأس الحية ، وحطم قوة الشيطان ، ولكنه عمل ذلك بموته على الصليب إذ سحقت الحية عقبه ، وهكذا يقرر كاتب الرسالة إلى العبرانيين هذه الحقيقة فى الكلمات « فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس . ويعتق

أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» عب ٢ : ١٤ و ١٥ .

فالمؤمن المتجدد ، قد نال غفراناً كاملا لخطاياه ، وميلاداً ثانياً من الله ، وإنقاذاً من سلطان الشيطان . ومع أنه يعيش فى العالم الذى وضع كله فى الشرير إلا أنه ليس من هذا العالم كما قال ربنا عن تلاميذه «ليسوا من العالم كما أنى أنا لست من العالم» يو ١٧ : ١٦ لأن سيرته قد أصبحت فى السموات فى ٣ : ٢٠ ولذا فيحق له أن يضم صوته مع المفديين مردداً كلمات بولس الرسول «شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته» كو ١ : ١٢ و ١٣

ولأن الشخص الذى نال خلاص الله قد خرج من منطقة نفوذ الشيطان ، إذن لا بد أن يتوقع صراعاً مريراً مع قوات الظلام ، فسيحاول الشيطان أن يحاربه بمختلف الأساليب ، تارة بالزئير المخيف ١ بط ٥ : ٨ ، وتارة بخداع الحية الناعمة ٢ كو ١١ : ٣ ، وتارة بخدامه الذين يغيرون شكلهم كخدام للبر ٢ كو ١١ : ١٥ ، وتارة بالمكايد أفسس٦ :١١ ، وتارة بالسهام الملتهبة أفسس٦ :١٦ ، وحين يفشل فى حيله يمتلىء غيظاً فيدخل مع المؤمن فى صراع سافر يعبىء له كل قوى الشر .

ولذا فقد سبق الروح القدس ، وأعلن لنا صورة المعركة الشديدة ، وأعد لنا كل أسلحة النصرة .

فتعال معى لنسمع كلمات بولس الرسول وهو يقول للقديسين فى

أفسس « أخيراً يا إخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته . ألبسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس . فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر . مع أجناد الشر الروحية فى السماويات . من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير وبعد أن تتمموا كل شىء أن تثبتوا . فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر. وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام . حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة . وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله . مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت فى الروح » أفسس ٦ : ١٠ – ١٨ .

إن الوعد المعطى للمؤمن الذى يلبس سلاح الله الكامل ، ويثق فى فاديه هو « وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً » رو ١٦ : ٢٠

إن صراع المؤمن مع الشيطان وجنوده صراع جبار ، ولكن الحرب فيه للرب كما قال موسى فى القديم وهو يرى الشعب الخائف من فرعون وجنوده المركبية « لا تخافوا . قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم . . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » خر ١٤ : ١٣ و ١٤

وفى سفر الرؤيا نجد المفتاح الذهبى للنصرة على الشيطان فى هذه الكلمات « وهم غلبوه بدم الخروف . وبكلمة شهادتهم . ولم يحبوا حياتهم حتى الموت » رؤ ١٢ : ١١

ويقول مستر وارنر وهو أحد خطباء مؤتمر كزك عام ١٩٣١ أن طريق النصرة على الشيطان فى هذه الآية فى ثلاث خطوات :

الخطوة الأولى : ثق فى دم يسوع : «وهم غلبوه بدم الخروف» فعندما يأتى إليك الشيطان ليذكرك بخطاياك الماضية ، إهتف فى وجهه أن دم يسوع المسيح قد طهرك من كل خطية .. وفى حياتك اليومية عش بالقرب من الينبوع المفتوح ، ينبوع دم الحمل لتعيش منتصراً.

الخطوة الثانية : إشهد للرب بقوة : «وهم غلبوه ... بكلمة شهادتهم» ، عندما أنكر بطرس الرب ، كان هذا يعنى أنه هزم أمام الشيطان . . ولكن بطرس بعدئذ غلب الشيطان بكلمة شهادته إذ قال فى المجمع الذى ضم رؤساء اليهود وشيوخهم وكتبتهم ورئيس كهنتهم وهو يتحدث عن الرب يسوع المسيح «وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص» أع ٤ : ١٢ وهكذا انتصر بطرس على الخوف ، وغلب بكلمة شهادته عن الرب أمام الآخرين . فإن أردت أن تنتصر . افعل مثله .

الخطوة الثالثة : كن مكرساً بالتمام «ولم يحبوا حياتهم حتى الموت» هذا هو التكريس الكامل للرب ... وبهذا التكريس تنتصر .

حدثنا دكتور جوردون بهذه القصة قال : جاءتنى هذه القصة من إفريقيا ، من مرسل إنجليزى عاش هناك سنوات كثيرة ، وقاد كثيرين إلى قبول المخلص . وعندما اقترب عيد الميلاد علم الناس عن ضرورة تقديم عطايا للكنيسة لتستخدم فى توصيل رسالة الخلاص إلى القبائل المحيطة التى لم تسمع بعد عن اسم يسوع المبارك ..

وجاء مساء العيد ، واجتمع المؤمنون فى الكنيسة الصغيرة ، ووضعوا مائدة أمام المنبر وكان كل واحد يأتى ويضع عطيته على المائدة .. كانت عطايا بسيطة من المزروعات ، ولكنها كانت علامة الحب للرب .

هذا رجل قد أحضر سلا من القمح ووضعه على المائدة .. وهذه سيدة قد جاءت بكمية من الفاكهة .. وذاك شخص قد أحضر مقداراً من الذرة .. عطايا متواضعة للغاية .

أخيراً رأى المرسل فتاة شابة ، تتقدم فى خجل فى ممر الكنيسة كأنها تخشى أن يلاحظها أحد ، وبسرعة وصمت وضعت شيئاً على المائدة ، ثم رجعت بهدوء إلى مكانها . امتلأ المرسل بالدهشة وهو يرى عطيتها لقد كانت ثلاث شلنات ، وست دولارات ، وقد يبدو هذا المبلغ صغيراً بالنسبة إلينا ، لكنه بالنسبة لأولئك الأفريقيين كان يعتبر ثروة ضخمة ، كان المرسل يعرف الفتاة، وكان من الطبيعى أن يدهش ويتساءل من أين جاءت بهذا المبلغ ! ! وشعر أنه يجب أن يتحدث معها حين تأتيه الفرصة حديثاً رقيقاً بروح الأبوة .

وحانت الفرصة أخيراً ، حين قابلها ذات يوم وقال لها « لقد رأيت عطيتك الثمينة ، ولكن من أين أتيت بهذا المبلغ الكبير ؟ » .

لمعت عينا الفتاة ، وبدا الخجل على وجهها وقالت : لم يكن لدى شىء لأقدمه . ولكن الرب يسوع عزيز على قلبى جداً . إنه كل شىء لى . وقد تثقل قلبى بإحساس المسئولية بالنسبة لأولئك الناس الذين لم يسمعوا عنه . وحز فى قلبى أن ليس لدى ما أعطيه لتوصيل الرسالة لهم .. وأخير وجدت رجلا فى قبيلة مجاورة يريد أن يشترى جارية ،

وبعت نفسى له ، والمبلغ الذى وضعته على المائدة ليلة عيد الميلاد هو ثمنى » .

ولمعت عيناها ثانية بفرح عجيب وقالت : « لقد أعطانى الرب يسوع كل شىء . ولذا فأنا سعيدة أن أبيع نفسى من أجله حتى يسمع الآخرون عن خلاصه » . لقد قبلت هذه الفتاة أن تحتمل ذل العبودية راضية لتوصيل رسالة الخلاص للآخرين .

هذا هو التكريس الصحيح ، تكريس الوقت ، والفكر ، والوزنات ، والحياة كلها للرب يسوع المسيح ، وبهذا التكريس نغلب كل قوى الشيطان .

فى الحرب مع الشهوات يقول بولس لتيموثاوس «أما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقى » ٢ تى ٢ : ٢٢

أما فى الحرب مع الشيطان فيقول يعقوب « قاوموا إبليس فيهرب منكم » يع ٤ : ٧

ويقول بطرس الرسول « اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو . فقاوموه راسخين فى الإيمان » ١ بط ٥ : ٨ و ٩

ولنذكر ثلاث حقائق هامة بخصوص نهاية الشيطان .

الحقيقة الاولى : إن الشيطان سيقيد ألف سنة فى الملك الألفى السعيد كما يقول يوحنا فى سفر الرؤيا « ورأيت ملاكا نازلا من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده . فقبض على التنين

الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة . وطرحه فى الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكى لا يضل الأمم فى ما بعد حتى تتم الألف السنة » رؤ ٢٠ : ١ - ٣

الحقيقة الثانية : إن الشيطان سيطرح فى بحيرة النار ويعذب إلى أبد الآبدين ، وهذا ما نقرأه فى سفر الرؤيا « وإبليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب وسيعذبون نهاراً وليلا إلى أبد الآبدين » رؤ ٢٠ : ١٠

الحقيقة الثالثة : إن النار الأبدية قد أعدت لإبليس وملائكته ، وأن الذين سيذهبون إلى هناك ، هم الذين رفضوا خلاص الله المجانى المقدم لهم بالإيمان بالرب يسوع المسيح كما نقرأ « ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته . . فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى » مت ٢٥ : ٤١ و ٤٦

والآن ما هو موقفك يا قارئى المحبوب بعد أن عرفت هذه الحقائق ؟ هل ستستمر فى صداقتك للشيطان وعدائك لله ؟ إن الشيطان يكرهك .. إنه عدوك الأكبر الذى يريد لك الهلاك .. بينما الله يحبك وقد بين محبته لك بموت المسيح لأجل خطاياك .

مد يدك وصافح يده الممدودة لمصالحتك ، فالنداء الذى ينادى به كل خدام الله الأمناء للخطاة المعادين لله هو : « تصالحوا مع الله » ٢ كو ٥ : ٢٠

واحذر أن تستمر فى عدائك لخالقك . . وفى عناد قلبك لئلا تقضى أبديتك مع الشيطان فى الجحيم .

— ٤ —

المعنى الرابع للخلاص هو تغيير الجسد الترابى

هل غفران الخطايا ، والميلاد الثانى ، والإنقاذ من سلطان الشيطان ، كل هذه البركات الثمينة هى كل ما يحتويه خلاص الله ، أم أن هناك جزءاً جوهرياً من هـذا الخلاص العظيم ما زال وراء الستار ؟

يجيبنا الرسول يوحنا قائلا « أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون . ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو » ١ يو ٣ : ٢

ويشاركه فى هذا الرسول بولس قائلا « فإن سيرتنا نحن هى فى السموات التى منها ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شىء » فى ٣ : ٢٠ و ٢١

فخلاص المؤمن يكتمل حين يأتى الرب يسوع المسيح من السماء ، ويغير جسده الترابى ليكون على صورة جسد مجده . ويسمى اللاهوتيون هذا الخلاص الذى سيتم فى المستقبل « باسم التمجيد » .

حين يموت أحد المفديين الآن يعود جسده إلى التراب ، أما روحه فتذهب لتكون مع المسيح ، وفى الكتاب المقدس عدة آيات تؤكد هذه الحقيقة :

فكاتب سفر الجامعة يقول « فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها » جا ١٢ : ٧

وبولس الرسول يكتب فى رسالته إلى فيلبى قائلا « لأن لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح . ولكن إن كانت الحياة فى الجسد هى لى ثمر عملى فماذا أختار لست أدرى . فإنى محصور من الاثنين لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً » فى ١ : ٢١ — ٢٣

ويكتب مرة أخرى إلى القديسين فى كورنثوس قائلا « فاذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب .. فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب » ٢ كو ٥ : ٦ و ٨

ويصف الرسول بولس حالة المؤمن حين « يتغرب عن الجسد » و « يستوطن عند الرب » أنها « أفضل جداً » فى ١ : ٢٣ من حالته وهو فى الجسد ، وهذا لايدع مجالا لعقيدة عذابات « المطهر » ، ولا لعقيدة فقدان الشعور والإدراك ، لأن الواضح من كلمات الرسول أن « التغرب عن الجسد » يعنى أن « نستوطن عند الرب » ، وهو يسر أن يتغرب عن الجسد ويستوطن عند الرب إذ يكون معه فى الفردوس كما قال الرب للص على الصليب « الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » لو ٢٣ : ٢٣ .

ولكن لا يجب أن يغرب عن بالنا أن « الموت » ليس هو اكتمال خلاص المؤمن ، إذ أن اكتمال هذا الخلاص لا يكون إلا بتغيير الجسد الترابى إلى جسد سماوى على صورة جسد مجد المسيح.

وهذا ما يقرره بولس فى الكلمات « لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا فى السموات بناء من الله بيت غير مصنوع

بيد أبدي . فإننا فى هذه أيضاً نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذى من السماء . وإن كنا لابسين لا نوجد عراة . فإننا نحن الذين فى الخيمة نئن مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها لكى يبتلع المائت من الحياة » ٢ كو ٥ : ١ - ٤

يسمى الرسول بولس « تغيير جسد المؤمن » « فداء الجسد » فيقول فى رسالته إلى أهل رومية « فانى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا . لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله . إذ أخضعت الخليقة للبطل ليس طوعاً بل من أجل الذى أخضعها . على الرجاء . لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله . فاننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن . وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا » رو ٨ : ١٨ - ٢٣

فمتى يحصل المؤمن المولود من الله على هذا الخلاص المجيد ؟

إن كلمة الله تؤكد لنا أن المؤمن سيتمتع بالجسد الممجد حين يأتى الرب يسوع من السماء ، فى لحظة الاختطاف السعيد ، وهذا ما يقرره بولس فى رسالته إلى أهل تسالونيكى قائلا : « ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة الراقدين لكى لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم . لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه . فاننا

نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين . لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولا . ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب » ١ تس ٤ : ١٣ - ١٧ .

ونجد ذات الحقيقة مقررة فى كلماته إلى أهل كورنثوس إذ يقول لهم « هوذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير . فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير » ١ كو ١٥ : ٥١ و ٥٢

والبوق الأخير المذكور فى هذه الآية هو آخر بوق سيسمعه المفديون فى الأرض ليلبوا نداء الاختطاف السعيد ، وقد خلط البعض بين هذا « البوق الأخير » وبين بوق الملاك السابع المذكور فى رؤيا ١١ : ١٥ - ١٩ والذى نقرأ عنه الكلمات « ثم بوّق الملاك السابع فحدثت أصوات عظيمة فى السماء قائلة قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين » وظنوا أنهما بوق واحد .

وهنا يجدر بنا أن نذكر عدة ملاحظات تبين الفرق بين البوق الأخير المذكور فى ١ كو ١٥ : ٥١ و ٥٢ ، وبين بوق الملاك السابع المذكور فى رؤيا ١١ : ١٥

البوق الأخير	بوق الملاك السابع
١ ـ يضرب قبل الاختطاف ١ كو ١٥ : ٥٢	١ ـ يضرب بعد الاختطاف رؤ ١١ : ١٥ و١٦
٢ ـ سمى بوق الله ١ تس ٤ : ١٦	٢ ـ سمى بوق الملاك السابع رؤ ١١ : ١٥
٣ ـ سيضرب في الهواء، وتعقبه قيامة الأموات في المسيح ، واختطاف المؤمنين الأحياء ١ تس ٤ : ١٦ و ١٧	٣ ـ سيضرب ، وتعقبه أصوات عظيمة في السماء رؤ ١١ : ١٥
٤ ـ بعده يذهب المفديون لملاقاة الرب في الهواء	٤ ـ بعده لا تأخير في إتمام سر الله رؤ ١٠ : ٦
٥ ـ هو بوق نداء للمفديين من الراقدين والأحياء	٥ ـ هو بوق ويل ، ودينونة وغضب على الأمم رؤ ١١ : ١٨

فالاختطاف سيتم حين يضرب «البوق الأخير» الخاص بالتدبير الحاضر ، وعندئذ سيقوم المفديون الراقدون في المسيح ، ويختطف الرب المؤمنين الأحياء .

وقد سأل بولس الرسول وهو يعالج موضوع القيامة هذا السؤال:

لكن يقول قائل : كيف يقام الأموات وبأى جسم يأتون ؟

ويجيب رسول الأمم بالروح القدس قائلا « يا غبي الذى تزرعه

لا يحيا إن لم يمت . والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقى . ولكن الله يعطيها جسما كما أراد ولكل واحد من البذور جسمه »
١ كو ١٥ : ٣٥ - ٣٨

ويقيناً أن هذه الكلمات تؤكد لنا أن جسد القيامة ليس هو ذات الجسد الذى وضع فى القبر ، لأن الجسد الذى سيقوم به المفديون سيتميز بهذه الصفات :

[١] سيكون جسداً عديم الفساد ، غير خاضع للفناء والانحلال :

« هكذا أيضاً قيامة الأموات . يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد » ١ كو ١٥ : ١٢

[٢] سيكون جسداً ممجداً :

« يزرع فى هوان ويقام فى مجد » ١ كو ١٥ : ٤٣

[٣] سيكون جسداً قوياً :

« يزرع فى ضعف ويقام فى قوة » ١ كو ١٥ : ٢٣

وهذا يعنى أن أيام التعب ، والمرض ، والضعف ستنتهى إلى الأبد ، وأن الجسد الممجد سيكون قوياً قادراً على إتمام كل مقاصد الروح .

[٤] سيكون جسداً سماويا :

« الإنسان الأول من الأرض ترابى . الإنسان الثانى الرب من السماء

كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضاً. وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضاً. وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي » ١ كو ١٥ : ٤٧ - ٤٩

[٥] سيكون جسداً مضيئاً باهراً كالشمس :

« حينئذ يضيء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم » مت١٣ : ٤٣

« والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور » دانيال ١٢ : ١٣

[٦] سيكون جسداً مكوناً من لحم وعظام :

عندما قام الرب يسوع من الأموات ، قام بجسد من لحم وعظام ويسجل لوقا البشير هذه الحقيقة بالكلمات « وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم وقال لهم سلام لكم. فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً . فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم . أنظروا يدى ورجلى أنى أنا هو . جسونى وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى » لو ٢٤ : ٣٦

[٧] سيكون جسداً خالياً من الدم :

« فأقول هذا أيها الإخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله . ولا يرث الفساد عدم الفساد » ١ كو ١٥ : ٥٠

ويكتب مؤلف كتاب « أين هم الموتى ؟ » تعليقاً على هذه الآية قائلا « لن يكون جسد الأبرار المقام من « لحم ودم » لأن الكتاب

يقول « إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله » ، ولكن هذا الجسد سيكون من « لحم وعظام » مثل الجسد الذى ظهر به الرب لتلاميذه لو ٢٤ : ٣٩ ، فالرب قال إن جسده من «لحم وعظام» ولكنه لم يذكر الدم إطلاقا ، وعلى هذا فان الأجساد الممجدة ستكون بلا دم .

والأجساد الممجدة ستكون «بلا دم» ، لأنها لن تكون فى حاجة إلى الدم فى المستقبل ، فالغرض من وجود الدم هو تغذية وبناء الخلايا التالفة التى تحتاج إلى تجديد مستمر ، والجسد الممجد لن تتلف خلاياه ، ولن يحتاج إلى « ليل » للراحة لتجديد هذه الخلايا ولذا فنحن نقرأ عن المدينة الجديدة « أبوابها لن تغلق نهاراً لأن ليلا لا يكون هناك » رؤ ٢١ : ٢٥ ، إن الجسد الممجد لن يمرض ، ولن يحتاج إلى الراحة ، ولن يموت ، وهذا يعنى أن خلاياه لن تتلف قط ، ولذا فهى لن تكون بحاجة إلى الدم الذى يغذيها ويجددها ويصلح العطب الذى يصيبها .

وفوق كل ما تقدم نذكر أن المفديين حين يقومون من الأموات سيكونون مثل الملائكة ، لا يزوجون ، ولا يتزوجون ، ولا يستطيعون أن يموتوا ، ونجد هذا واضحاً فى كلمات ربنا القائلة « لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء » مت ٢٢ : ٣٠ « ولكن الذين حسبوا أهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون . إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة » لو ٢٠ : ٣٥ و ٣٦

هذا يقودنا الى سؤال جديد هو: هل سيكون الاختطاف لفئة قليلة من المفديين، أم سيشمل جميع المفديين ؟

لقد شاعت فى الأيام الأخيرة نظرية ينادى أصحابها بالاختطاف الجزئى، وهى نظرية تقلق خواطر أولاد الله، ويقول أصحاب هذه النظرية : إن القديسين الساهرين، الصابرين، الخادمين، المنتظرين هم فقط الذين سيختطفون .

ومع أننا ننادى بأن كل قديس فى المسيح يجب أن يكون ساهراً، صابراً، خادماً، منتظراً، إلا أننا لا نجد أساساً فى الكتاب لنظرية الاختطاف الشرطى، أو الاختطاف الجزئى، ولكننا نؤمن بأن الاختطاف سيشمل جميع المفديين .

وتعال معى لترى هذا الحق الواضح فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، فأعضاء كنيسة كورنثوس كانت عيوبهم كثيرة، ولو كان الاختطاف على أساس أهليتهم الذاتية، واجتهادهم الشخصى، لما كان لهؤلاء الأعضاء أى حق فى هذا الاختطاف السعيد .

تتبع معى سلسلة عيوبهم :

لقد كانت بينهم خصومات كما يقول لهم الرسول الجليل « لأنى أخبرت عنكم يا إخوتى من أهل خلوى أن بينكم خصومات » ١ كو ١ : ١١

وكانوا مؤمنين جسديين كما يكتب لهم الرسول قائلا « وأنا أيها

الإخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال فى المسيح . سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون لأنكم بعد جسديون . فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر » ١ كو ٣ : ١ - ٣ .

وكانوا يحاكمون بعضهم بعضاً عند الظالمين وهذا ما يوبخهم الرسول عليه بالكلمات « لكن الأخ يحاكم الأخ وذلك عند غير المؤمنين . فالآن فيكم عيب مطلقاً لأن عندكم محاكمات بعضكم مع بعض » ١ كو ٦ : ٦ و ٧ .

وكانوا يمارسون عشاء الرب بكيفية غير سليمة حتى كتب لهم الرسول يقول « فحين تجتمعون معاً ليس هو لأكل عشاء الرب » ١ كو ١١ : ٢٠

وإلى جوار ذلك ، فقد كانت النساء فى كنيسة كورنثوس يشوشن على العبادة ولذا كتب لهم الرسول قائلا « الله ليس إله تشويش بل إله سلام . كما فى جميع كنائس القديسين لتصمت نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً . ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن فى البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة » ١ كو ١٤ : ٣٣-٣٥

ومع كل العيوب التى كانت موجودة فى أعضاء كنيسة كورنثوس ، فإنها لم تحرم أولئك الأعضاء من امتياز الاختطاف السعيد ، ولذا فإن الرسول العظيم يكتب لأولئك الأعضاء بالذات قائلا « هو ذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير فى لحظة فى طرفة عين

عند البوق الأخير . فإنه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير » ١ كو ١٥ : ٥١ و ٥٢

إن أصحاب نظرية الاختطاف الشرطى يبنون نظريتهم على الآية القائلة « ولكن الذين حسبوا أهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوجون ولا يتزوجون إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة » لو ٢٠ : ٣٥ و ٣٦ .

وقد شرح « جورج جودمان » هذه الآية بتعليق جميل ، نسجله فيما يلى مضيفين إليه ما يؤكده من كلمة الله قال :

١ — إن هذه الآية تشير إلى « أبناء الله » ونحن نعلم بكل يقين من هم أبناء الله ، وكيف صاروا كذلك . . فالكتاب المقدس يقول بوضوح « لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع » غلا ٣ : ٢٦ فكل من قبل الرب يسوع مخلصاً شخصياً بالإيمان صار ابناً لله وبالتالى صار ابناً من أبناء القيامة .

٢ — تذكر الآية أن أولئك الذين حسبوا أهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات ، حسبوا كذلك لكونهم أبناء لله ، ولا تذكر الآية أية شروط للاستحقاق الشخصى أو الأهلية الذاتية .

٣ — تقول الآية أن أبناء القيامة هؤلاء « حسبوا أهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات » ، وكل مؤمن بالرب يسوع المسيح ، قد حسب باراً بإيمانه ، كما نقرأ عن ابراهيم « فآمن

إبراهيم بالله فحسب له براً » رو ٤ : ٣ ونحن نرى إبراهيم فى لوقا ٢٠ : ٣٧ و ٣٨ كأحد أبناء القيامة إذ يقول الرب له المجد « وأما أن الموتى يقومون فقد دل عليه موسى أيضاً فى أمر العليقة كما يقول. الرب إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء » ، فإبراهيم تبرر أو حسب باراً أمام الله ليس بالأعمال بل بالإيمان ، وبهذا البر المحسوب صار أهلا للحصول على القيامة من الأموات .

٤ ـ لا يظهر فى الآية ما يبين أن هناك طبقتين من أولاد الله ستقوم كل طبقة منهما قيامة خاصة ، طبقة تقوم على أساس النعمة ، والثانية على أساس الاجتهاد والأهلية الشخصية .

٥ ـ إن كلمة الحصول وهى الكلمة اليونانية (Tugchano) لا تحتم معنى امتلاك الشىء بالأهلية الشخصية ، وفى أعمال ٢٦ : ٢٢ تتكرر الكلمة إذ يقول بولس « فإذ حصلت على معونة من الله » ولا تعنى هذه الكلمات أنه حصل على هذه المعونة عن طريق الاستحقاق . وفى ٢ تى ٢ : ١٠ نقرأ « لأجل ذلك أنا أصبر على كل شىء لأجل المختارين لكى يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذى فى المسيح يسوع مع مجد أبدى » ويقيناً أن حصول المختارين على الخلاص لا يمكن أن يكون على أساس استحقاقهم .

إنه شىء خطير أن يقال إن قيامة المؤمنين من الأموات ستكون على أساس اجتهادهم وأهليتهم ، فالواقع أن هذه القيامة ستحدث على أساس النعمة « منطقوا أحقاء ذهنكم صاحين . فألقوا رجاءكم بالتمام

على النعمة التى يؤتى بهـــا إليكم عند استعلان يسوع المسيح». ١ بط ١ : ١٣

لقد خلصنا الله من خطايانا بحسب رحمته الكثيرة ، وبحسب هذه الرحمة عينهـا سيخلصنا من الجسد الترابى ولذا يهتف بطرس الرسول قائلا « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » ١ بط ١ : ٣ - ٥.

إن الذين يقولون إن الساهرين فقط هم الذين سيختطفون « ينسون أن العذارى الحكيمات قيل عنهن « نعسن . . ونمن » مت ٢٥ : ٥ ولكنهن دخلن مع العريس إلى العرس .

وفى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكى يحث الرسول المؤمنين قائلا « فلا ننم إذاً كالباقين بل لنسهر ونصح » ١ تس ٥ : ٦ والنوم هنا لا يشير إلى الموت . لأنه لو كان كذلك لما أمر الرسول القديسين فى تسالونيكى قائلا « فلا ننم » لأنه ليس فى قدرة أحد أن ينجى نفسه من الموت . ومع ذلك فهو يتابع حديثه لهم قائلا « لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح . الذى مات لأجلنا حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه » ١ تس ٥ : ٩ و ١٠ ويضيف الرسول على هذا قوله « لذلك عزوا بعضكم بعضاً وابنوا أحدكم الآخر كما تفعلون أيضاً ». ١ تس ٥ : ١١

ولماذا يقول بولس هذا الكلام ؟ إن السبب هو أن النعمة التى تنشأ من حقيقة اختطاف جميع المؤمنين ليكونوا مع الرب لها أثر أقوى على دفع المؤمنين للسهر ، وحياة القداسة ، والتدقيق، والخدمة أكثر من الخوف من احتمال ترك بعض المؤمنين فى العالم ليجتازوا الضيقة العظيمة .

إن كلمة الله تقول بكل وضوح «ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب » ١ تس ٤ : ١٧ وعبارة « سنخطف جميعاً » تعنى أن جميع المفديين بلا استثناء سيختطفون لملاقاة الرب فى الهواء ، ولن يبقى منهم أحد ليجتاز آلام الضيقة العظيمة .

الظهور أمام كرسى المسيح :

وهناك حقيقة كبرى يجب أن لا تغيب عن ذهن المؤمن المولود من الله وهى حقيقة « الظهور أمام كرسى المسيح » لننال المكافآت والأكاليل ، فهذه الحقيقة كافية لأن تجعل المؤمن دائم السهر ، والخدمة ، والصلاة ، يعيش فى سيرة مقدسة وتقوى ويطلب وينتظر سرعة مجيء يوم الرب .

ويؤكد بولس الرسول هذه الحقيقة بالكلمات « لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » ٢ كو ٥ : ١٠

فكل مؤمن سوف يظهر أمام كرسى المسيح ليأخذ مكافأة من الرب على أتعابه كما قال الرب « وها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله » رؤ ٢٢ : ١٢ ، ولذا فإن الرسول

يكتب للقديسين فى كورنثوس قائلا « لذلك نحترص أيضاً مستوطنين كنا أو متغربين أن نكون مرضيين عنده » ٢ كو ٥ : ٩ ، بل ويحثهم على الاستمرار فى الخدمة بثبات قائلا «إذاً يا إخوتى الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلا فى الرب » ١ كو ١٥ : ٥٨

أجل ، سيقف القديسون جميعاً بلا استثناء أمام كرسى المسيح ليحاسبهم ويكافئهم على أتعابهم .

سيكون هناك من سيأخذ أجرته :

ويكتب بولس الرسول عن هذه الحقيقة قائلا « ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه . فاننا نحن عاملان مع الله وأنتم فلاحة الله بناء الله حسب نعمة الله المعطاة لى كبناء حكيم قد وضعت أساساً وآخر يبنى عليه . ولكن فلينظر كل واحد كيف يبنى عليه ، فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع الذى هو يسوع المسيح . ولكن إن كان أحد يبنى على هذا الأساس ذهباً فضة ، حجارة كريمة . خشباً ، عشباً ، قشاً ، فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبينه . لأنه بنار يستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو . إن بقى عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة . إن احترق عمل أحد فسيخسر وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار » ١ كو ٣ : ٨ - ١٥

وفى هذه الآيات يرينا الرسول أن الأعمال التى سيأخذ عنها المؤمن أجرة هى التى يشير إليها « بالذهب والفضة والحجارة

الكريمة ، وهذه هى الأعمال التى يعملها المؤمن بالروح القدس ، وباسم المسيح ، ومن القلب ، ولمجد الله .

أنها الأعمال التى يعملها المؤمن بالروح القدس :
« لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » فى ٢ : ١٣ [اقرأ لبركة نفسك ١ كو ١٢ : ٦] .

أنها الأعمال التى يعملها المؤمن باسم المسيح : « وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به » كولوسى ٣ : ١٧

أنها الأعمال التى يعملها المؤمن من القلب : « وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح » كو ٣ : ٢٣ و ٢٤

أنها الأعمال التى يعملها المؤمن لمجد الله : « فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شىء لمجد الله » ١ كو ١٠ : ٣١

وعلى هذه الأعمال التى يرمز إليها بولس الرسول « بالذهب والفضة والحجارة الكريمة » ، وكلها معادن وجواهر ثمينة ، يكافىء الرب المؤمن بحسب تعبه ، وهناك خمسة أكاليل سينالها كل من يستحق أجرة على عمله ، سنذكرها كما وردت فى كلمة الله .

(١) **اكليل الحياة :** « طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة

لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه »
يع ١ : ١٢

« لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به هوذا إبليس مزمع أن يلقى بعضاً منكم فى السجن لكى تجربوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة » رؤ ٢ : ١٠

(٢) **اكليل ضبط النفس** : « ألستم تعلمون أن الذين يركضون فى الميدان جميعهم يركضون ولكن واحداً يأخذ الجعالة . هكذا اركضوا لكى تنالوا . وكل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شىء . أما أولئك فلكى يأخذوا إكليلا يفنى . وأما نحن فإكليلا لا يفنى »
١ كو ٩ : ٢٤ و ٢٥

(٣) **اكليل ربح النفوس للمسيح** : « لأن من هو رجاؤنا وفرحنا وإكليل افتخارنا أم لستم أنتم أيضاً أمام ربنا يسوع المسيح فى مجيئه » ١ تس ٢ : ١٩

(٤) **اكليل المجد** : « أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن ارعوا رعية الله التى بينكم نظاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار . ولا لربح قبيح بل بنشاط . ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى »
١ بط ٥ : ١ - ٤

(٥) اكليل البر « قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان وأخيراً وضع لى اكليل البر الذي يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً » ٢ تى ٤ : ٧ و ٨

فما هى الأكاليل التى ستكون من نصيبك أيها الأخ المؤمن المحبوب ؟

وسيكون هناك من سيخسر أجرته :

« إن احترق عمل أحد فسيخسر وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار » ١ كو ٣ : ١٥ والأعمال التى ستحترق هى التى يشبهها الرسول « بالخشب والعشب والقش » ١ كو ٣ : ١٢ وهى الأعمال التى يعملها المؤمن بدوافع جسدية وليست لمجد الله ، بل لإظهار ذاته وتمجيد نفسه .

وسيرى المؤمن الذى سيخسر أجرته أعماله وهى تحترق أمام عينيه، ولن ينال أجرة أو يأخذ إكليلا، ولكنه سيخلص كما بنار.. سيخلص كما خلص لوط من نار سدوم وعمورة بعد أن احترقت جميع ممتلكاته ، ويقيناً أن مؤمناً من هذا الطراز لا بد أن تدمع عيناه أمام كرسى المسيح وهو يرى أعماله تحترق بنار الامتحان الإلهى .

وسيكون هناك من سينال مدحا من الله :

وهذا ما يقوله بولس الرسول « إذاً لا تحكموا فى شيء قبل

الوقت حتى يأتى الرب الذى سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله » ١ كو ٤ : ٥

إن المؤمن الذى لم يكن الروح القدس هو المحرك له فى العبادة والسلوك والخدمة، لأنه لم يسمح له بالسيادة على حياته ، لن يمدح. إن الله سيمدح المؤمن بعد أن ينير خفايا حياته ، ويظهر الدوافع التى كانت تسيطر عليه . أجل سيمدح الرب المؤمن الذى تاجر بوزناته فربح . قائلا له « نعما أيها العبد الصالح والأمين كنت أميناً فى القليل فأقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك » مت ٢٥ : ٢١

وسيكون هناك من سيخجل فى حضرة مخلصه :

يقول يوحنا الرسول الحبيب « والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى إذا أظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه فى مجيئه » ١ يو ٢ : ٢٨

وكم من مؤمنين سيخجلون فى يوم الظهور أمام كرسى المسيح ؟!

سيخجلون بسبب الأوقات التى ضاعت بلا خدمة ولا صلاة .

سيخجلون بسبب الفرص التى أهملوا فيها حضور الاجتماعات .

سيخجلون بسبب إهمال دراسة الكتاب المقدس .

سيخجلون بسبب معاملتهم غير المسيحية لأحبائهم .

فهل ستخجل عندما يأتى الرب ليغير شكل جسد تواضعك ليكون على صورة جسد مجده ؟ أم ستكون مشرق الوجه لامع العينين ؟ استمع إلى صوت بولس الرسول وهو ينادى القديسين فى رومية قائلا « هذا وإنكم عارفون الوقت إنها الآن ساعة لنستيقظ من

النوم . فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا . قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور . لنسلك بلياقة كما فى النهار لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد. بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » رو ٣ : ١١ – ١٤

واصغ إلى كاتب الرسالة إلى العبرانيين وهو يقول «هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدم مرة لكى يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه » عب ٩ : ٢٨ ثم يعود مؤكداً «لأنه بعد قليل جداً سيأتى الآتى ولا يبطىء » عب ١٠ : ٣٧

فهل أدركت أيها المؤمن المولود من الله معنى الخلاص الثمين ؟

إن الخلاص يعنى أن الله قد غفر كل خطاياك بدم المسيح .

وأنه ولدك ميلاداً ثانياً لأنك قبلت المسيح .

وأنه أنقذك من سلطان الشيطان بقوة صليب المسيح .

وأنه سيغير شكل جسدك الترابى ليكون على صورة جسد مجد المسيح .

أفلا يحق لك أن تهتف مع داود قائلا « انتظاراً انتظرت الرب فمال إلىّ وسمع صراخى . وأصعدنى من جب الهلاك من طين الحمأة وأقام على صخرة رجلى . ثبت خطواتى . وجعل فى فمى ترنيمة جديدة تسبيحة لإلهنا . كثيرون يرون ويخافون ويتوكلون على الرب » مزمور ٤٠ : ١ – ٣

الفصل الثانى

طريق نوال الخلاص

هل الخلاص بالإيمان أو بالأعمال أو بالإيمان والأعمال معاً ؟

حاول أن تسأل الكثيرين من المسيحيين الإسميين هذا السؤال، وستسمع ألواناً من الإجابات الخاطئة تتردد على شفاههم : يجيبك واحد قائلا : إن الشخص ينال الخلاص بأعمال البر والصلاح . . وأنه ليس على المرء إلا أن يصوم ويصلى ويدفع صدقات للفقراء والمساكين ، ويعمل الخير للناس ، ثم ينتظر بعد ذلك الرحمة من الله ، فإما أن يرسله إلى السماء أو يلقى به فى الجحيم . . ويقول لك آخر : إن الإنسان يخلص إذا حفظ ناموس الوصايا العشر ولم يحد عنها . . ويقول لك ثالث : إن الإنسان يخلص بالإيمان والأعمال معاً .

فهل هذه الإجابات تتفق مع طريق الله المعلن فى كلمته لخلاص الإنسان ؟

إن السبيل الوحيد لمعرفة طريق الله للخلاص هو « العودة إلى الكتاب المقدس » ، فكل طريق يبتكره الذهن البشرى ، أو يخترعه الاستحسان الإنسانى ، يعرض المرء لخطر الهلاك الأبدى وإن بدا مستقيما أمام العيون كما يقول كاتب سفر الأمثال « توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طريق الموت » أم ١٤ : ١٢

حدثنا أحدهم عن سيدة فى بلاد الغرب ، كانت مسافرة بالقطار

إلى قرية صغيرة وهى تحمل طفلها الرضيع على ذراعيها ، وكان الوقت شتاء والأيام شديدة البرودة ، ولما جاء «الكمسارى» أخبرها أن المحطة التى ترغب فى النزول فيها قد اقتربت ، فطلبت منه أن ينبهها حين يصل القطار إليها .. لكن أحد المسافرين قال لها : لا تقلقى ياسيدتى فسأنبهك إلى المحطة التى تريدين .. وبعد قليل وقف القطار فقال لها المسافر : ها هى المحطة التى تريدين .. انزلى هنا .

نزلت المرأة وهى تحمل طفلها ، وسار القطار فى طريقه . . وبعد نصف ساعة جاء « الكمسارى » يسأل : أين السيدة التى كانت هنا ؟ فقال ذلك المسافر : نزلت فى المحطة السابقة .

فقال « الكمسارى » بحزن عميق : نزلت . . لقد ذهبت إلى الموت ، إن القطار لم يقف فى محطة بل وقف بسبب عطل مفاجىء أصابه.. وقف فى مكان موحش.. مظلم ..ملىء بالثلوج والأعاصير.

أخطر « الكمسارى » عن السيدة المسكينة . ووجدها رجال الشرطة ميتة من شدة البرد هى وطفلها .

لقد أطاعت المسكينة ارشادات خاطئة فهلكت :

وهكذا فى أمر خلاصنا ، وحياتنا الأبدية إذا أطعنا الأفكار البشرية نهلك هلاكا أبدياً .

والآن .. هلم بنا لنقلب صفحات الكتاب المقدس ، ولنسمع ماذا يقول الكتاب عن طريق نوال خلاص الله . .

الخلاص ليس بأعمال البر

والحقيقة الكبرى التي تؤكدها كلمة الله ، ويرفضها الذهن الجسدي هي : أن الخلاص ليس بأعمال البر .

فتعال معي لنقرأ معاً الآيات اللامعة التي تقرر هذه الحقيقة :

ها هو إشعياء النبي يقول « قد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة كل أعمال برنا » أش ٦٤ : ٦ فأشعياء يصف « أعمال برنا » بأنها كثوب عدة « وعدة » المرأة أيام طمثها ، فأعمال برنا كخرقة المرأة في طمثها ، وما أظن أن هناك وصفاً مرعباً مثل هذا الوصف . وإذا كانت « أعمال برنا » أي أعمالنا الصالحة « كخرقة الطامث » فكم بالحرى أعمال شرنا وفجورنا ؟!

والآن تعال لنسمع بولس الرسول وهو يقول للقديسين في أفسس « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » أفسس ١ : ٨ و ٩

ثم اصغ إليه وهو يكتب لابنه الحبيب تيموثاوس قائلا « الله الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية » ٢ تى ١ : ٨ و ٩

وانتبه إلى كلماته التي كتبها إلى تيطس وهو يقول « ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى

رحمته خلصنا بغسل الميـــلاد الثانى وتجديد الروح القدس »
تيطس ٣ : ٤ و ٥

من كل هذه الآيات يتبين لنا أن الكتاب المقدس يؤكد تأكيداً قاطعاً أن الخلاص ليس بأعمال البر والصلاح ، بل هو بالنعمة بالإيمان بالمسيح يسوع ، فلا مكان لاستحقاق الإنسان أو عمله أو صلاحه فى نوال خلاص الله الأبدى .

منذ سقط الإنسان فى الخطية ، وقد انقسمت البشرية إلى فريقين، فريق يؤمن بأن الخلاص بالإيمان بالرب يسوع المسيح ، وفريق يؤمن بأن الخلاص بأعمال البر .

ونرى الفريقين بكل وضوح فى قصة « قايين وهابيل » ،وعنهما يكتب كاتب الرسالة إلى العبرانيين قائلا « بالإيمان قدّم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين . فبه شهد له أنه بار إذ شهد الله لقرابينه وبه وإن مات يتكلم بعد » عب ١١ : ٤

ويمكننا أن نتصور « آدم » بعد أن سقط فى الخطية ، وولدت له حواء « قايين وهابيل » ، وقد جلس مع ولديه بعد أن كبرا يحدثهما عن سقطته الكبرى ، ويعلن لهما طريق خلاص الله ...

تعال معى لننصت إليه وهو يقول لولديه : « عندما سقطنا أنا وأمكما فى الخطية ، وعصينا إرادة الخالق القدوس ، أحس كل منا بعريه ، وحين جاء الله كعادته ليتحدث إلينا عند هبوب ريح النهار، أسرعنا للإختباء وراء الأشجار ... ولم تصلح الأشجار لسترنا عن عينى القادر على كل شيء ... وهكذا خرجنا فى عرينا ووقفنا أمام الله

العظيم القدوس . . ولأول مرة فى تاريخ وجودنا رأينا منظر الدم القانى .. فقد أمسك الله حملا وديعاً وذبحه ، وغطى عرينا بجلده ... وأدركنا يومئذ أن الطريق الوحيد لسترنا هو « الدم » . وقبل أن يطردنا الله من جنة عدن تكلم إلى الحية التى كانت سبب سقوطنا قائلا « وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه » تك ٣ : ١٥ وكان هـذا هو الوعد الإلهى بمجىء المخلص الذى سيسحق رأس الشيطان ويطلق أسراه .

ويسكت « آدم » لحظة ثم يستطرد قائلا : إن الطريق للغفران ، والتطهير ، والستر يا ولدىّ هو « طريق الدم » و « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » .

وآمن هابيل بكلمات أبيه ، أما قايين فلم يستحسن « طريق الدم» لأن « كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله » ١ كو ١ : ١٨

وجاء هابيل إلى الله بالإيمان فى قوة الدم الغافرة ، الساترة ، المطهرة ، وقدم ذبيحة « من أبكار غنمه ومن سمانها » تك ٤ : ٤

أما قايين فقد ذهب إلى الله فى الطريق الذى استحسنه ذهنه الجسدى ، طريق الأعمال « وقدم من ثمار الأرض قرباناً الرب » تك ٤ : ٦ ، وبغير شك أن قايين تكلف جهداً كبيراً لم يتكلفه هابيل ، فقد حرث الأرض ، وزرعها ، وسقاها ، وحصدها ، وطحن ثمارها .. عمل مجهوداً كبيراً ليقدم قرباناً للرب .. فى حين أن هابيل لم يقم بأى مجهود سوى أنه أخذ ذبيحة من أبكار غنمه .. إن طريق الإيمان بسيط ومريح وسهل .

« فنظر الرب إلى هابيل وقربانه . ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر » تك ٤ : ٤ و ٥

وما السبب ؟ !

إن السبب هو أن هابيل جاء للرب بالإيمان فى الخلاص الآتى الذى سيسفك دمه لأجل خطاياه . عرف أن « أجرة الخطية هى موت » رو ٦ : ٢٣ ، وأن الله لا يغفر الخطية إلا عن طريق الدم الذى يمثل الموت .

أما قايين فجاء عن طريق الأعمال ، وكأنه يريد أن يستبدل حكم الموت الذى أوقعه الله على الخاطىء ببعض أعمال البر التى يعملها الخاطىء . ولو كانت أعمال البر تخلص الإنسان من خطاياه لحق للإنسان أن يفتخر ببره أمام الله ولكان موت المسيح بلا سبب ، ولذا قال الرسول بولس « بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » أفسس ٢ : ٨ و ٩

وقد أهمل قايين هذا المبدأ الإلهى ، واختار طريقه البشرى ، طريق الافتخار بالبر الذاتى ، والمجهود الشخصى . . طريق تقديم ثمار الأرض التى لعنها الرب حين قال لآدم « ملعونة الأرض بسببك » تك ٣ : ١٧ ويقيناً أن كل ثمر تخرجه الأرض الملعونة هو ثمر ملعون مثلها . . فهل يمكن أن ينال المرء خلاصاً عن طريق ثمر ملعون ؟ !

إن طريق الله للخلاص هو « طريق الإيمان » وليس « طريق

الأعمال ، وكل من يسلك فى طريق الأعمال له الويل كما يقول يهوذا فى رسالته « ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين » يهوذا ١١

إن كل الذين سيذهبون إلى السماء ، سيذهبون عن طريق الإيمان الشخصى بالرب يسوع المسيح ولذا فإنهم يرددون مع يوحنا الحبيب قائلين « الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكا وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين » رؤ ١ : ٥و٦ بل إن ترنيمتهم الحلوة فى المجد الأسنى ستكون « مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة » رؤ ٥ : ٩

فهل يمكن لشخص خلص بأعمال بره أن يردد هذه الترنيمة ... يقيناً أن أولئك الذين يعتمدون على أعمالهم الصالحة للخلاص لن تكون لهم ترنيمة فى الأبدية ، إنهم بكل يقين سيهلكون .

يحتفظ لنا التاريخ بقصة قصها أحد خدام الله الأمناء قال : سألت مريضاً كان فى أيامه الأخيرة : هل أنت ذاهب إلى السماء ؟ قال : « أفتكر أننى ربما أذهب إلى السماء لأنى عاملت زوجتى وأولادى معاملة طيبة ، ولم أتعرض لأحد من الناس بأذى » قلت له : حين يجتمع المفديون فى المجد الأسنى فما هى الترنيمة التى يرنمونها .. أتحب أن أقرأها لك ؟ ولما وافق ، قرأت له الترنيمة الحلوة « مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة » وسكت قليلا ثم قلت للرجل المريض : هل لاحظت أن المفديين لا يذكرون شيئاً عن أعمالهم الصالحة ، إنما يترنمون لمن أحبهم وغسلهم

من خطاياهم بدمه ، واشتراهم لله أبيه . . فإذا ذهبت أنت للسماء فستكون الشخص الوحيد الذى دخل بواسطة أعماله الصالحة ، ولم يغتسل بدم المسيح الكريم ، وهذا يعنى أنك لن تشترك مع المفديين فى الترنيم .

وسادت لحظة صمت ، كان المريض يتأمل فيها هذا الحق الثمين ، وقد أشرق عليه الروح القدس بالنور ، فاعترف أنه مع أخلاقه الطيبة ، فهو إنسان خاطىء يستحق دينونة الله ، وعندئذ قرأت له الكلمات « صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة » ١ تى ١ : ٥ فآمن الرجل بالرب وهو على فراش مرضه ، وقال ووجهه يتهلل بالفرح ، حين أجتمع مع المفديين فى المجد سأرنم معهم الترنيمة العذبة « لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك » .

فى الاصحاح الثامن عشر من إنجيل لوقا يقدم لنا الرب له المجد صورة للبشرية فى « إنسانين » . أحدهما اعتمد على بره الذاتى فهلك ، والآخر آمن فى رحمة الله فتبرر بالإيمان . . ورحمة الله قد تجلت بصورة واضحة فى موت ابنه الحبيب على الصليب .

ويسجل لوقا البشير قصة هذين الإنسانين فى هذه الكلمات «وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين هذا المثل . إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا واحد فريسى والآخر عشار . أما الفريسى فوقف يصلى هكذا . اللهم أنا أشكرك أنى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار . أصوم مرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه . وأما العشار فوقف من بعيد لا

يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء . بل قرع على صدره قائلا اللهم ارحمني أنا الخاطيء . أقول لكم إن هذا نزل إلى بيته مبرراً دون ذاك . لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » لو ١٨ : ٩ - ١٤

فهل تيقنت أن خلاص الله ليس بالأعمال الصالحة ، وأن كلمة الله تؤكد بكل وضوح ، أن الخلاص « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » أفسس ٢ : ٩ ؟

الخلاص ليس بأعمال الناموس

هل يستطيع الإنسان الطبيعي أن يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به ؟ يقيناً : لا .. ولأنه من المستحيل على الإنسان أن يحفظ الناموس بأكمله لذلك قال بولس الرسول في رسالته إلى كنائس غلاطية « إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس . لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما » غلا ٢ : ١٦

إن الناموس كالمرآة يظهر لنا عيوبنا ، ولكنه لا يغسل هذه العيوب ، وقد لعن الله صاحب الطاعة الناقصة للناموس قائلا « لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به . ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالإيمان يحيا » غلا ٣ : ١٠ و ١١ ويقول يعقوب في رسالته « لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل » يعقوب ٢ : ١٠

وأين هو الشخص الذى عاش على أرضنا وحفظ كل الناموس ؟

لا أحد . سوى الرب يسوع المسيح ، ولذا قال الله عن بنى آدم ، « إنما باطل بنو آدم . كذب بنو البشر . فى الموازين هم إلى فوق » مز ٦٢ : ٩

بحق قال بولس الرسول فى منطق قوى سليم رائع « لست أبطل نعمة الله لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح إذاً مات بلا سبب » غلا ٣ : ٢١

قال لى أخ مؤمن يحب الرب : إن الشخص الذى يتكل على أعمال الناموس لنوال الخلاص ، هو شخص يقف متأملا فى آلام المسيح وهو على الصليب .. يرى المسامير فى يديه ورجليه ، وإكليل الشوك على رأسه .. والدم الزكى الثمين ينزف من جراحاته ويقول: إنك أيها المسيح لم تمت لأجلى أنا ، ولا لأجل خطايا البشرية . إنك مت بغير سبب . وهل هناك إهانة توجه إلى المسيح المصلوب أكبر من هذه الإهانة ؟

إن موت المسيح على الصليب يؤكد أن الخلاص لا يمكن الحصول عليه بأعمال الناموس .

الخلاص ليس بالإيمان والأعمال

هذه هى الحقيقة اللامعة التى يقررها بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية فيقول « وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً » رو ٤ : ٥

وهنا قد يسأل سائل : ألا نقرأ فى رسالة يعقوب الكلمات

« ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت . ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم اسحق ابنه على المذبح . فترى أن الإيمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الإيمان » يعقوب ٢ : ٢٠ — ٢٢ وألا ترينا هذه الكلمات أن الخلاص بالإيمان والأعمال ؟ ! وإذا لم يكن للأعمال أى دخل فى خلاصنا فما قيمة الأعمال الصالحة إذن ؟

وقد كتب الدكتور سكوفيلد الذى ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الانجليزية رسالة هامة للرد على هذه الأسئلة، ترجمها أخ محبوب ننقلها هنا لثقتنا بنفعها للكثيرين .

قال دكتور سكوفيلد : نقرأ فى العهد الجديد آيتين تقول الأولى «لأنه ماذا يقول الكتاب فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً»رو ٤ :٣، وتقول الآية الثانية « ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم اسحق ابنه على المذبح » يع ٢ : ٢١

ولدى القراءة السطحية لهاتين الآيتين قد يتساءل أحدهم قائلا : هل الكتاب المقدس بيت منقسم على ذاته ؟ وهل يعلم بأمر فى موضع ثم يعلم بعكسه فى موضع آخر ؟

وكلام كهذا كلام منطقى معقول ، ويقيناً إننا نريد أن يكون لنا الإيمان الحى فى الكتاب المقدس ، لا مجرد الإيمان الوهمى أو التقليدى، إذ أنه لا توجد فائدة من الإيمان بما ليس حقاً بل الواقع أن الإيمان بما ليس حقاً يضر المرء ضرراً بليغاً .

فى هاتين الآيتين نجد قولين عن التبرير أحدهما ينسبه « للإيمان» والآخر « للأعمال » ، ومما يزيد حيرتنا أن كلا هذين الكاتبين يجدان

فى الشخص الواحد حجتهما فبولس يقول إن إبراهيم قد تبرر بالإيمان « فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً » ويعقوب يقول إنه قد تبرر بالأعمال فيكتب قائلا « ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم اسحق ابنه على المذبح » يع ٢ : ١٢

علينا إذن أن نواجه هذه المشكلة ، وسنرى بوضوح أن المشكلة لا يمكن أن تحل بالجمع بين المبدأين إذ أن أول ما يخطر لنا هو أن نقول إن ما علينا إلا أن نجمع بين الأمرين فنحصل على التعليم الحقيق وهو : إن الخطاة يتبررون بالإيمان والأعمال معاً ولا بد من اقترانهما ليتم التبرير .

لكننا نجد أنه لا سبيل لهذا الزعم ، إذ لا يترك بولس مجالا البتة للأعمال فى التبرير ولا يوافق على الايمان والأعمال معاً كوسيلة لتبرير المرء أمام الله ، فيقول بلغة صريحة « وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً » رو ٤ : ٥

ولقد كتبت رسالة غلاطية لدحض الرأى القائل بأن التبرير بالإيمان والأعمال ، وهكذا نجد بولس بكل ما لديه من قوة ينفى الأعمال كلية من تعليمه عن التبرير ، بينما يشدد يعقوب الرسول فى أن « إبراهيم قد تبرر بالأعمال » فكيف نواجه هذه المشكلة الكتابية ؟ إن دراسة مدققة للكلمة المقدسة سترينا إنها مشكلة ظاهرية بسيطة سهلة الحل .

[١] ليلاحظ القارىء أول كل شىء ، أنه بينما يتكلم الرسولان عن إبراهيم يختار كل منهما حادثة مختلفة فى حياته للتدليل بها على

قوله . فبولس يحدثنا عن ابراهيم الشيخ الذى أصبح فى عداد الأموات ، وامرأته التى هرمت إذ كان كلاهما قد قارب المئة عام ، وإذ بهذا الرجل فى هذه السن من حياته ، وبالرغم من شيخوخته ، وتقدم زوجته فى العمر ، يقبل الوعد الغريب من الله بأنها ستلد له ابناً يكون وارثاً له . هذه هى الحادثة التى يشير إليها بولس قائلا إن ابراهيم لم يشك فى الوعد مع شدة غرابته ، بل آمن بالله فحسب له براً .

ولكن يعقوب يشير إلى حادثة تختلف عن هذه تمام الاختلاف حدثت فى ظروف أخرى وفى زمن آخر ! نعم إن ابراهيم هو « ابراهيم » ، ولكنه ابراهيم بعد مضى عشرين عاما من الوقت الذى أشار إليه بولس ، فيرينا يعقوب ذات الرجل يقبل من الله ، لا وعداً غريباً ولكن أمراً لا مزيد عليه فى الغرابة : « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك » تك ٢٢ : ٢

اسحق الذى كان ابراهيم يعلم أن بحياته قد ارتبطت كل مواعيد الله الخاصة بفداء هذا العالم . . اسحق ابن الموعد . . اسحق الذى آمن بمولده قبل أن يولد ، الابن الذى اجتمعت فيه كل مشورات الله ، يجب أن يقدم محرقة ويذبح ! أمر غريب وعجيب جداً ، ما فى ذلك شك ! لكن ابراهيم لم يتردد أمام هذا الأمر أكثر من تردده أمام ذلك الوعد ، فنى الحال أطاع كل ما أمر به ، ويقول يعقوب الرسول إنه « تبرر » بهذا العمل .

بولس يقول إنه « تبرر » قبل هذا التاريخ بزمن طويل إذ قبل الوعد ، ويعقوب يقول إنه « تبرر » إذ أطاع الأمر .

فما هذا التناقض إذن ؟ لا تناقض فى الأمر وحل المشكلة هو فى :

ان بولس يستخدم ثقة ابراهيم فى الله ليصور لنا تبرير الخاطىء أمام الله ، ويستخدم يعقوب طاعة ابراهيم لله ليصور لنا تبرير المؤمن أمام العالم .

وهذا هو الفرق بين التبريرين .. يؤمن الخاطىء فيما عمله الله لأجله على الصليب فيقول الله إنه قد « تبرر » ويعمل المؤمن مطيعاً لله فيقول العالم : « حقاً تبرر » . . ينظر الخاطىء من وسط خطاياه وشكوكه إلى المسيح مصلوباً ويقول : « إنى واثق بتطهير دم الصليب » فيجيبه الله : « إذن أنت مسيحى حقيق » ، فيقوم بقوة هذه العلاقة الجديدة ليحيا حياة الطاعة للرب فيقول العالم « نعم أنه مسيحى بالحق » .. فالله يرى « الإيمان » والعالم يرى « الأعمال » فأولها هو « تبرير الخاطىء أمام الله » وثانيهما هو « تبرير المؤمن أمام الناس » .

[٢] وهناك ملاحظة ثانية نلفت إليها نظر القارىء وهى أنه فى كلا الأصحاحين فى رومية ويعقوب اللذين نجد فيهما هذين القولين المتناقضين ظاهريا ، نجد كلمتين هما الدليل الذى يجب أن يحفظنا من هذه المشكلة المزعومة ، فى الأصحاح الرابع من رسالة رومية يقول بولس « لأنه إن كان ابراهيم قد تبرر بالأعمال ـ أى أنه إن

كان ابراهيم قد تبرر كخاطىء أمام الله بالأعمال ... فله فخر ولكن ليس لدى الله » رو ٤ :٢ وهذه العبارة هي الدليل الأكبر الذى ينفى نفياً باتاً قاطعاً تبرير الخاطىء بالأعمال لدى الله .

ويستخدم يعقوب أيضا كلمة لها نفس الأهمية ، وهي ترينا بأن كلمة الله كاملة كمالا سماويا وتثبت أمام أدق الامتحانات ، وكلما دققنا النظر فيها رأينا أنها حقاً كلمة الله إذ فيها كمال سماوى يفوق كل حكمة بشرية .

يكتب يعقوب فى رسالته قائلا « ترون إذاً أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده » يعقوب ٢ : ٢٤ وهنا يستخدم يعقوب كلمة « ترون » وهي كلمة تتعلق بالناس ، فالناس لا يستطيعون أن يروا إيمان الإنسان ، ولكنهم « يرون » أعمال المؤمن ويقولون « حقاً » تبرر ، فقد يتحدث الناس عن إيمانهم ، وأنا لا أستطيع رؤيته ، ولكنى أستطيع أن أرى أعمالهم . فكلمة « ترون » هذه هي مفتاح الأصحاح الثانى من رسالة يعقوب ، كما أن عبارة « ليس لدى الله » هي مفتاح الأصحاح الرابع من رسالة رومية . فاحداهما تشير إلى ما يراه «الله» ، والثانية تشير إلى ما يراه « الناس» والناس لا يؤمنون بخلاص الخاطىء وتبريره أمام الله إلا بعد أن يروا أعماله الحسنة أمام عيونهم .

وخير إيضاح لهذا موجود فى الأصحاح السابع من إنجيل لوقا ، فهناك نرى الرب وقد ذهب لتناول الطعام فى بيت رجل فريسى ، إنسان اعتقد أنه تبرر ببره الذاتى ، إنسان كان يتمم كل الأمور

الخارجية المرسومة فى الطقوس والفرائض ، وعلى ذلك كان يعتبر نفسه أفضل من أى شخص يخطىء جهاراً . وإذ بإمرأة منجسة كانت تخطىء جهاراً ، ولم يكن ثمة شك فى إثمها تدخل بيته ، وبهدوء وصمت تسعى إلى قدمى المخلص وتغسلهما بالدموع ، وتمسحهما بشعر رأسها . فكان الخاطر الذى شغل عقل الفريسى هو : « إن لمس هذه المرأة الأثيمة ينجس لأنها خاطئة » ، فيجيب الرب فاحص القلوب على خواطر الفريسى بمثل صغير جميل هو مثل المديونين ويستخدم الفريسى والمرأة لتصوير حالهما ، وما يجب ملاحظته بشكل خاص هو الطريقة التى يفرق بها ربنا المبارك بين هذين التبريرين .

الاول أمام الله بالايمان ، والثانى أمام الناس بالاعمال :

إذ نقرأ « ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان : أتنظر هــذه المرأة ؟ إنى دخلت بيتك وماء لأجل رجلى لم تعط . وأما هى فقد غسلت رجلىّ بالدموع . . . قبلة لم تقبلنى وأما هى فمنذ دخلت لم تــكف عن تقبيل رجلىّ . بزيت لم تدهن رأسى . وأما هى فقد دهنت بالطيب رجلىّ . من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً . والذى يغفر له قليل يحب قليلا . ثم قال لها مغفورة لك خطاياك . فابتدأ المتكئون معه يقولون فى أنفسهم من هذا الذى يغفر خطايا أيضا . فقال للمرأة إيمانك قد خلصك . اذهبى بسلام » لوقا ٧ : ٤٤ — ٥٠

فهل ترى إذن ، أنه عندما أراد المسيح له المجد أن يقنع الفريسى

أن المرأة قد غُفرت خطاياها كيف أشار إلى أعمال محبتها ، فكان البرهان الذى قدمه للفريسى هو ما كانت تفعله .. هو نوع الحياة التى شرعت تحياها .. والخدمة التى كانت تعملها للمسيح يسوع ، ولكن لاحظ أنه لم يقل ولا كلمة واحدة للمرأة عن أعمالها ؛ لقد عرف الرب أن سمعان لا يستطيع أن يرى إيمان المرأة فكان لا بد أن تُبرر أمام سمعان « بأعمالها » ، أما أمام الرب فقد كان إيمانها وحده هو سبب خلاصها ولذا فقد قال لها الرب له المجد « إيمانك قد خلصك » ولم يقل لها كلمة واحدة عن أعمالها ، كما لم يقل للمتكئين كلمة واحدة عن إيمانها .

ومن هنا نرى أن يقين خلاصنا يرتكز على ما يقوله الله عن إيماننا المبرر ، أما قيمة شهادتنا فتتوقف على ما يراه الناس من أعمالنا المبررة ، وما أقل تقدير الناس لشهادة مسيحى لا يحيا الحياة التى يجب على المسيحى أن يحياها ، وما أعظم تأثير المسيحى الذى يحيا الحياة السماوية التى نالها بالإيمان .

فالإيمان لله .. والأعمال للإنسان .

الأول يعطى طمأناً للقلب ، والثانية تجعل لشهاداتنا تأثيراً وقيمة .

وهذا يأتى بنا إلى تقرير هذين المبدأين على أساس كلمة الله .

المبدأ الأول : الإيمان والإيمان فقط هو الذى يبرر الخاطىء أمام الله :

وهنا دعنى أشدد فى توكيد كلمة « فقط » ، فكثيراً ما يخطىء

القلب البشرى فى هذا الأمر بالذات إن عمداً أو جهلا ، فالإنسان المستقيم المهذب يشعر أن استقامته وتهذيبه لها نصيب فى خلاصه ، إذ تسهل على الله أمر خلاصه ، وإذ يقارن نفسه بالخطاة الذين يحيون حياة النجاسة والسكر يقول « لا شك أنى أحتاج إلى مخلص لأنى خاطىء من بعض الوجوه ، ولكنه أيسر جداً على الله أن يخلصنى من أن يخلص ذلك الإنسان الشرير جداً » وهذا خطأ ضار جداً ، وهو يقف حائلا بين نفوس كثيرة وبين الخلاص ، إذ أن الله لا يوضح لنا أمراً أكثر من هذا الأمر وهو : أنه لا قيمة البتة للبر الإنسانى فى مسألة تصفية حساب الخطية إذ يقول إشعياء « وقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة كل أعمال برنا » اش ٦٤:٦ ويقول بولس « وأما الذى لا يعمل ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً » رو ٤ : ٥ وفى رسالة أفسس نقرأ « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » أفسس ٢ : ٨ و ٩

فنحن نكرز للخطاة البعيدين عن التبرير بالإيمان وحده دون دخل للأعمال ، إذ أن أى جزاء أو عطاء لشراء الخلاص يفسد عطية الله « وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » رو ٦ : ٢٣

أجل إن الله يكلفه أن يفدى أكثر الناس أدباً واستقامة وتهذيباً ، ما يكلفه فداء أكثر الخطاة انحطاطاً وفجوراً « لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح » رو ٣ : ٢٢ - ٢٤ فالثمن الذى دفع

لتبرير الخاطىء هو « دم المسيح الكريم » والله لا يزن قليلا من دم ابنه لأجل خطية صغيرة ثم يضع معه القليل من أعمال الشخص الصالحة واستقامته لتكملة الميزان . . كلا ! فإن أجرة الخطية هى موت ، مهما كانت صغيرة أو كبيرة .

هب أن شخصين يغرقان ، ولا سبيل لنجاتهما إلا بمخاطرة واحد بحياته ، فأية أهمية إن كان أحدهما يستطيع أن يسبح قليلا ؟ إن الواحد المخاطر عليه أن يموت لأجله كما يموت لأجل الشخص الذى لا يعرف السباحة مطلقاً .

فهل تركت كل فكر عن استحقاقك الشخصى ؟ هل أنت متكل بالإيمان وحده على رحمة الله التى ظهرت فى ذبيحة الصليب ؟

المبدأ الثانى هو أن الأعمال والأعمال وحدها هى التى تبرر المؤمن أمام الناس :

ولابد هنا من تعريف « الأعمال الصالحة » حسب الكتاب المقدس ، فالأعمال الصالحة هى التى تعمل فى طاعة إرادة الله « فابراهيم أطاع إذ قدم ابنه على المذبح » فأعمالنا لا تصبح أعمالا صالحة إلا إذا تخطت حدود إرضاء الذات وتعلقت بطاعة إرادة الله « فإننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » أفسس ٢ : ١٠

فالأعمال الصالحة هى أعمال القديسين لإرضاء الله ، لأنه أمرهم بعملها ، ولنلاحظ هذا الفرق .

يعمل « الفريسى » لكى يمدحه الناس وما أعظم خيبته إن لم

يصل إلى ذلك ، فهو يجول معلناً عما يفعله ، وما أعظم المرارة والغضب اللذان يملآن نفسه إن لم يقابل بشيء من المدح . . هذه هي فكرة الفريسي عن الأعمال الصالحة كما وصفها ربنا المبارك قائلا عن المرائين « لكي يمجدوا من الناس » مت ٦ : ٢

أما الشخص المؤدب الذي يحيا باستقامة خارجية ، فهو يفعل ذلك إشباعاً لكبريائه حتى يستطيع أن يوفق بين حياته وبين مثله الأعلى فيحس بالرضا عن نفسه .

ولكن المؤمن المستنير فإنه يسعى لمعرفة إرادة الله في كلمته ، وطاعة هذه الإرادة الإلهية ليرضي ذاك الذي دعاه من الظلمة إلى نوره العجيب وانسان مثل هذا يتلألأ نوره فيرى الناس أعماله الحسنة ويمجدوا الآب الذي في السموات .

هل سمعت مطلقاً أن شخصاً مجد الله لأجل عمل صالح يعمله شخص مؤدب ؟ إن الخدمة الحقيقية هي التي تعمل لإرضاء الرب ، ومثل هذه الخدمة تستحق أن يقال عن صاحبها «هذا مسيحي حقاً»

وهناك ثلاثة أمور يقولها الكتاب المقدس عن تبرير المؤمن بالأعمال وهي :

أولا — المسيحي الذي يعمل أعمالا صالحة يبرر ويمجد الله الذي خلصه :

هب أنني أخذت من أحد السجون مجرماً خطيراً وقلت له : « تعال إلى بيتي واجلس إلى مائدتي ، وكن لي ابناً » ، وبدأت هذه المعاملة الطيبة تحرك هذا القلب الوضيع بكل عوامل المحبة ومؤثرات

الحنو والرقة ، فإن أصدقائى لابد أن يقولوا إننى أتيت أمراً غبياً إذ أخذت ذلك المجرم إلى بيتى . . ويقول أعدائى : « يا له من أمر مخجل أن يقبل ذلك الرجل فى بيت محترم مجرماً كهذا » ، ثم هب أن هذا المجرم تغيرت حياته ، وبعد أن كان كاسراً للقانون أصبح مدافعا عنه وحاميا له ، فإنه لابد أن يأتى اليوم الذى يقول فيه الناس : لقد كنت محقا فيما فعلت .

هكذا أيضا عندما يضع الرب يسوع يده علينا ، ويأتى بنا إلى حظيرة الله ، يدهش الناس لعمله، ولكنهم عندما يروننا نعيش لله ، تزول دهشتهم ويتمجد الله فى خلاصنا .

ثانيا — إيمان المؤمن الموثوق من الله يكمل بأعماله :

يقول يعقوب فى رسالته « وبالأعمال أكمل الإيمان » يع ٢ : ٢٢ فما معنى هذا ؟ ألا تظن أن ابراهيم بعد أن نزل من ذلك الجبل ، وسمع صوت الرب وهو يناديه « لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً » تك ٢٢ : ١٢ كان أكثر إيماناً مما كان عند صعوده إلى الجبل ؟ يقيناً أن ايمانه قد ازداد

فهل أنت مسيحى كثير الشكوك والريب ، اعمل إذاً لله ، أطع الرب فى وصاياه فإن إيمانك سيقوى ويكمل .

ثالثا — سنعطى مكافآت عظيمة وثمينة لمن يعملونه ويخدمونه :

لا مكافأة على الإيمان . . ولكن توجد هبة للإيمان وهى هبة

الخلاص ، لكن المجازاة والمكافآت تعطى لمن يتممون خلاصهم بحياة جميلة مثمرة ١ كو ٣ و ٤ ودعنا فى الختام نذكر هـذا الأمر الهام :

إن الإيمان يبرر الخاطىء أمام الله والأعمال تبرر المؤمن أمام الناس ، إذن فالأعمال تكمل الإيمان وتمجد الله وتخلص الآخرين .

فهل أنت مؤمن فى قوة الدم وحده لتبريرك أمام الله ؟

وهل تعمل لتتبرر أمام الناس ، وتشهد لمن فداك وخلصك ؟ هذه هى كلمة الرب « لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » يو ٣ : ١٦

طريق الله للخلاص

والآن بعد أن توضح لنا أن الخلاص ليس بأعمال البر ، ولا بأعمال الناموس ، ولا بالإيمان والأعمال معاً ... فما هو طريق الله للخلاص ؟

الخلاص بالنعمة

يقول بولس الرسول « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » أفسس ٢ : ٨ و ٩

فالخلاص عطية مجانية يعطيها الله من مجرد نعمته . . وتعنى كلمة نعمة « لطف الله ورحمته الغنية نحو الخاطىء » ، وهذه

النعمة هى التى خلصت شاول الطرسوسى ، الذى صار فيما بعد بولس الرسول ، وإزاء غنى هذه النعمة هتف بولس قائلا « وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قوانى أنه حسبنى أميناً إذ جعلنى للخدمة . أنا الذى كنت قبلا مجدفاً ومضطهداً ومفترياً ولكننى رحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان . وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الايمان والمحبة التى فى المسيح يسوع . صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا » ١ تى ١ : ١٢ - ١٥

وفى رسالته إلى تيطس كتب يقول « لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس . معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر . منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجـــد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح » تيطس ٢ : ١١ - ١٣

وهنا نرى أن النعمة قادرة أن تخلص جميع الناس ، وأنها بعد أن تخلصنا تعلمنا حياة القداسة ، وانتظار المجىء الثانى للمسيح.

زار بلادنا فى شهر سبتمبر ١٩٥١ الدكتور « ليلا ند وانج » وهو أحد الصينيين الذين افتقدتهم نعمة الله ، وقد قابلته مساء الاثنين ٢٤ سبتمبر ١٩٥١ وسمعته يتكلم فى مجتمع الخدام الانجيليين واهتز قلبى وأنا أسمعه يقول « أنا صينى بالميلاد الطبيعى ولكننى مسيحى بالنعمة التى خلصتنى » وقد ذهبت إليه بعد انتهاء الخدمة وسألته قائلا : يا دكتور وانج هل يمكن أن تخبرنى كيف عرفت المسيح

ونلت الخلاص ؟ وابتسم الرجل المسيحى الذى يتكلم الانجليزية شعراً جميلا وقال : سأرسل إليك اختبارى مكتوباً .

وقد أرسل لى الدكتور ليلاند وانج اختباره الذى كتب فيه يقول «هلم اسمعوا فأخبركم يا كل الخائفين الله بما صنع لنفسى» مز ٦٦ : ١٦

ولدت فى فوشو فى بيت غير مسيحى ، وأول كتاب مقدس وقع فى يدى كان هدية لوالدى من أحد أصدقائه ، وإن كان لم يقرأه، ووقع نظرى على هذا الكتاب الجميل مرة على مكتب والدى، فقلت له : أيمكن أن آخذ هذا الكتاب ؟ وأجابنى بنعم ، وابتدأت أقرأ الكتاب المقدس ولكننى لم أفهم منه كلمة ،وظننت أنه كتاب لا فائدة منه،وكولد صغير كنت أحب جمع طوابع البريد فاستعملت الكتاب كألبوم للطوابع ، ولكنى أستطيع أن أقول اليوم إن الكتاب المقدس هو لذتى .

وسأعطى القارىء صورة عن شرى فى طفولتى : كانت عائلتنا تملك متجراً فى فوشو ، وكانت النقود الواردة توضع فى صندوق كبير فى نهاية المتجر ، ولكن حين كانت العملة الصغيرة ترد ، لم يكونوا حريصين عليها كل الحرص ، فكانت تتدحرج على الأرض . ولقد كان منظر النقود الصغيرة على الأرض تجربة شديدة لى ، قلت فى نفسى : «لو طلبت منهم أن يعطونى بعض القروش لشراء الحلوى لرفضوا ، لذلك فلا بد أن أحصل عليها بنفسى ، وهكذا دبرت حيلة شيطانية فوضعت قليلا من الغراء فى نعل حذائى ، وكنت أجول فى أنحاء المتجر فتلتصق النقود الصغيرة بحذائى ، وكنت

أهدىء ضميرى بالقول « ما دمت لم أمد إليها يدى ، فأنا لم أسرقها » لقد كان ضميرى مستيقظاً ، ولكن لم تكن نفسى متجددة إذ لم أكن قد آمنت بالرب يسوع المسيح .

فى الرابعة عشرة من عمرى درست كتب البوذية ، والكنفوشية ، والطائية ، ولكن هذه الديانات لم تشبع قلبى .. بعد سنين ذهبت إلى تشيفو ، وهناك ملأت الأفكار عقلى وتساءلت « من أين جاء البشر ؟ » ، « إلى أين نذهب بعد الموت ؟ » ، « ما هو الغرض الحقيقى للحياة ؟ » ولم أستطع أن أحل هذه المعضلات ، فعزمت على أن أجعل غرض حياتى البحث عن الملذات . . وهكذا انحدرت إلى السكر والقمار . انتهيت من دراستى ، وبدأت الاستعداد للزواج فخطبت لنفسى فتاة تجددت أثناء مدة الخطبة فى اجتماع كانت تعقده مس روث باكسون ، وأخبرتنى بذلك .. وبعد مدة عقدنا زواجنا فى قاعة أجنبية وكان زواجنا مسيحياً رغم أننى لم أكن أعرف شيئاً عن المسيحية فى اختبارى الشخصى .. طلبت منى زوجتى فى أحد أيام الآحاد أن أذهب معها إلى كنيستها فذهبت .. لم أستطع أن أفهم كلمة مما يقوله الواعظ ولكننى تأثرت من الترنيمة الأخيرة « يا رب أقرب فأقرب » وقلت لنفسى : « هؤلاء الناس يريدون الاقتراب من الإله الذى يعبدونه ، فلا بد أن إلههم إله طيب ومحب . . » إن الناس الذين يعبدون الأصنام يخافون منها وإذا فرض وقلت لأحدهم « الصنم معك » لخاف واضطرب ، ولكن هؤلاء المسيحيين يحبون كلمة « الله معك » ، فهى مصدر قوة وتعزية لهم . . بعد الاجتماع صافحنى الجميع ، وقالوا إنهم يتمنون رؤيتى فى الأحد القادم ، وطلبت

زوجتى منهم أن يصلوا لأجلى ، فقلت لنفسى لنرى إن كان الله يستجيب صلاتهم أم لا .. فما كنت أعتقد فى قوة الصلاة .. ولكن الله استجاب وسمع .

خالجنى ذات يوم هذا الفكر ، كيف دخلت المسيحية إلى الصين ، ما الذى يجعل هؤلاء المسيحيين يفتحون المدارس للأطفال والمستشفيات للمرضى ؟ إن هذه الأعمال عظيمة وجليلة ، وإن كانت الثمار جيدة ، فلا بد أن يكون يسوع المسيح رجلا عظيما وطيباً .. وفكرت فى التاريخ الميلادى .. فلماذا لم يؤرخ العالم تاريخه قبل أو بعد ميلاد المسيح؟ وعزمت أن أعرف تاريخ حياة يسوع ، وهكذا بدأت بقراءة العهد الجديد إذ قالوا لى أنه أحسن كتاب يخبرنى عن حياة يسوع .. بدأت قراءة الاصحاح الأول من إنجيل متى « إبراهيم ولد اسحق . واسحق ولد يعقوب » ، وكدت أيأس لأن هذه الأسماء لم تكن تهمنى ، ولكنى مضيت فى القراءة إلى أن وصلت للموضع الذى يقول فيه يسوع « طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » ، وقلت لنفسى « كيف أتوقع أن أرى الله وأنا أعرف حالة قلبى جيداً ؟ » ، وقرأت أيضاً هذه الكلمات « متى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك » ، وفكرت قائلا « يا لها من مبادىء عليا . إننى إن عملت عملا حسناً أتمنى أن يعرف ذلك كل إنسان .. وهكذا ابتدأت تعاليم يسوع تسترعى انتباهى وكلما تعمقت فى القصة كلما أدركت أنه لا بد أن يكون هناك إله حقيقى هو خالق العالم ، وظهر لى أن يسوع هو ابن الله وهو الوسيط الوحيد بينى وبين الله ، وأنه مات لأجل خطايانا على الصليب ،

وأنه قادر أن يخلص إلى التمام جميع الذين يتقدمون به إلى الله » وعملت نعمة الله فى قلبى ، وقبلت المسيح مخلصاً ورباً وسيداً سنة ١٩١٨ وبعد أن نلت الخلاص اهتممت اهتماماً بالغا بخلاص عائلتى ، وشكراً لله لأن الوعد هو « آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك » .. وشرعت أصلى لأجل أفراد أسرتى واستجاب الرب . فتجددت أمى ، وخالى وجميع أفراد عائلتى . وفى سنة ١٩٢٠ أتممت فريضة المعمودية بالماء فاعتمدت بالتغطيس إطاعة لوصية الرب « من آمن واعتمد وخلص » . وفى سنة ١٩٢١ دعانى الرب لأبشر ، وجاءتنى الدعوة إذ كنت أقرأ الكتاب المقدس وقادنى الرب إلى إشعياء ٥٢ : ١١ و ١٢ « اعتزلوا اعتزلوا . أخرجوا من هناك . لأن الرب سائر أمامكم » وشعرت أن الرب يريد منى أن أعتزل لخدمة الإنجيل وأطعت أمره بسرور فائق ، وخرجت للخدمة بالإيمان معتمداً على الإله الذى وعد أن يملأ احتياجاتنا بحسب غناه فى المجد فى المسيح يسوع .

فهل رأيت كيف تعمل نعمة الله فى قلوب الخطاة لتخلصهم ؟

طريق الله للخلاص

والآن ما هى الخطوات التى يجب أن تسير فيها لتنال خلاص الله ؟ إن الله فى محبته العظيمة العجيبة للخطاة قد جعل طريق الخلاص بسيطا جداً .. وهذه هى الخطوات التى توصلك لهذا الاختبار المجيد .

[١] تأكد أنك خاطيء هالك تحت حكم دينونة الله

العادلة : هذه هي الحقيقة التي يؤكدها بولس الرسول قائلا « أنه ليس بار ولا واحد . ليس من يفهم . ليس من يطلب الله . الجميع زاغوا وفسدوا معاً ، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » رو ٣ : ١٠ - ١٢ .

« لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » رو ٣ : ٢٢ و ٢٣

« بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » رو ٥ : ١٢

« لأن أجرة الخطية هي موت » رو ٦ : ٢٣

لقد كان آدم هو « نبع النهر البشري » ، وقد تلوث النبع بميكروب الخطية وكان معنى هذا أن ماء النهر كله قد تلوث بذات الميكروب .

« المولود من الجسد جسد هو » يو ٣ : ٦

« ها أنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أمي » مز ٥١ : ٥

ومع وراثة الإنسان للخطية ، فقد فعل الخطية كذلك ... ولكي تتأكد أنك فعلت الخطية .. وأنك تستحق دينونة الله العادلة يجب أن تقيس نفسك على المقاييس الإلهية للخطية ، إن أكبر خطأ يقع فيه الناس أنهم يقيسون خطاياهم على المقاييس البشرية ، وإذ هم « يقيسون أنفسهم على أنفسهم ويقابلون أنفسهم بأنفسهم لا يفهمون » ٢ كو ١٠ : ١٢

فتعال معي لترى المقاييس الإلهية للخطية .

فالخطية هي التعدي على وصايا الله : « كل من يفعل الخطية يفعل التعدي أيضاً والخطية هي التعدي » ١ يو ٣ : ٤

والخطية هي اهمال عمل الخير : « فمن يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له » يع ٤ : ١٧

والخطية هي كل تصرف ليس من الايمان : « وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية » رو ١٤ : ٢٣

والخطية هي فكر الحماقة : « فكر الحماقة خطية » أمثال ٢٤ : ٩

والخطية هي كل عمل يصدر عن القلب غير المتجدد : « نور الاشرار خطية » أم ٢١ : ٤

فهل تخلو حياتك من خطية من هذه الخطايا ؟ ألم تتعد وصايا الله ؟ ألم تهمل مرة عمل الخير ؟ ألم تتصرف مرة بعدم إيمان ؟ ألم يخالج رأسك فكر حماقة ؟ ألم تحاول إرضاء الله بأعمال برك وأنت لم تتجدد بعد ؟ إذن فأنت خاطىء ، وقانون الله عادل وصريح «النفس التي تخطىء هي تموت » حزقيال ١٨ : ٥ « لأن أجرة الخطية هي موت » رو ٦ : ٢٣ فأنت إذن تحت حكم دينونة الله العادلة مهما كان نوع خطيتك « لا تضلوا ! لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور . ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله » ١ كو ٦ : ١٠ فهل رأيت كيف يدين الله الخطية الصغيرة كما يدين الخطية الكبيرة ؟

وهناك امتحان آخر يريك مدى شر قلبك وبشاعة خطاياك ، وهو أن تواجه قداسة الله .

ذات يوم رأى اشعياء رؤيا أظهرت له حقيقة حالته.. إصغ إليه وهو يسجل هذه الرؤيا بكلماته فيقول «فى سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسى عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة. باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض. فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخانا.

فقلت ويل لى انى هلكت لأنى انسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عينى قد رأتا الملك رب الجنود » إش ٦ : ١ – ٥

لقد عرف اشعياء أنه شخص خاطىء ، هالك ، يستحق دينونة الله ». عرف نجاسة شفتيه لأنه رأى قداسة الله فصرخ مرتعباً فى محضر الله القدوس.

وحين اعترف بحقيقة حالته يستطرد قائلا « فطار إلى واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فمى وقال إن هذه قد مست شفتيك فانتزع إثمك وكفر عن خطيتك» إش ٦ : ٦ و ٧

فهل تأكدت حقيقة حالتك أمام المقاييس الإلهية للخطية، وأمام نور قداسة الله ، وصرخت مع اشعياء قائلا « ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين » ؟ هذه أول خطوة فى طريق خلاص الله

ويوم تصل اليها لن ترتاح إلا بعد أن ترتمى فى أحضان الرب الحبيب. لأن معرفتك بأن الموت الذى هو أجرة الخطية يعنى انفصال الروح والجسد عن الله فى الجحيم إلى الأبد ، ستدفعك للإلتجاء إلى جنب المسيح المطعون لتختبىء فيه من دينونة الله العادلة .

[٢] تب توبة حقيقية : إن الإنسان لا يصبح مستعداً للإيمان بانجيل الخلاص إلا إذا كان مستعداً للتوبة الحقيقية عن كل خطاياه وأقول التوبة الحقيقية لأن هناك توبة زائفة ، فالشخص الذى يصرخ طالباً رحمة الله لخوفه من الموت فى غارة جوية ، لا يعتبر خوفه توبة حقيقية. لما أرسل الله ضربة البرد على فرعون وعلى عبيده وبهائمه، أرسل فرعون ودعا موسى وهرون وقال لهما « أخطأت هذه المرة . الرب هو البار وأنا وشعبي الأشرار . صليا إلى الرب وكفى حدوث رعود الله والبرد ». . فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون وبسط يديه إلى الرب . فانقطعت الرعود والبرد ولم ينصب المطر على الأرض . ولكن فرعون لما رأى أن المطر والبرد والرعود انقطعت عاد يخطىء وأغلظ قلبه » خر ٩: ٣٣و ٣٤ وكل توبة من هذا الطراز هى توبة زائفة نسميها « توبة فرعون » .

والتوبة الزائفة أيضاً ليست هى محاولة إصلاح نتائج خطايانا لقد أخطأ يهوذا وباع سيده ، ثم ندم واعترف لرؤساء الكهنة بخطيته ، ورد الثلاثين من الفضة اليهم ، ولكنه فى الواقع لم يتب توبة حقيقية ولذا ظل طريداً شريداً وأخيراً « مضى وخنق نفسه ».
مت ٢٧ : ٥

والتوبة الزائفة كذلك ليست هى الاتضاع أمام الرب بسبب الخوف من العقاب ، فقد قتل آخاب الملك نابوت اليزرعيلى ليأخذ كرمه ولما عرّفه ايليا بعقاب الله له « شق ثيابه وجعل مسحاً على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت » ١ مل ٢١ : ٢٧ ولكن هذا الاتضاع كان إلى حين ، ولم تكن توبته توبة حقيقية لذلك مات ولحست الكلاب دمه « حسب كلام الرب الذى تكلم به » ١ مل ٢٢ : ٣٨

إن التوبة الحقيقية نعمة عظمى من الله كما قيل « إذاً أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة » أع ١١ : ١٨ ، ونحن نجد أنها المطلب الذى طلبه الله من جميع الراجعين اليه .

فيوحنا المعمدان كان يكرز قائلا « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » مت ٣ : ٢ ، والرب يسوع المسيح بدأ خدمته الجهرية بالقول « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » مت ٤ : ١٧ وحذر الناس قائلا « إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » لو ١٣ : ٥ وبطرس الرسول قال للذين نخسهم الروح القدس فى يوم الخمسين « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا » أع ٢ : ٣٨ ، وبعد حادثة شفاء الأعرج قال لسامعيه « فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم ولكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب » أع ٣ : ١٩ وقال بولس الرسول لسكان أثينا « فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا متغاضيا عن أزمنة الجهل » أع ١٧ : ٣٠ وقبل ذلك نادى اشعياء النبى قائلا « اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب . ليترك الشرير

طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران » إش ٥٥ : ٦ و ٧

فالتوبة الحقيقية أمر هام لنوال خلاص الله .

ولكن ما هى التوبة الحقيقية ؟

التوبة الحقيقية هى تغيير الطريق الخاطىء : « ليترك الشرير طريقه » هذه هى التوبة الصحيحة ، ترك الطريق الخاطىء الشرير المعوج نهائياً والعودة إلى الرب من كل القلب .

والتوبة الحقيقية هى تغيير الفكر الأثيم : « ليترك . . . رجل الإثم أفكاره »كل فكر شرير عن الرب يجب أن يترك فى الحال ، كل فكر شرير عن الناس يجب أن يطرد تماماً من الذهن .. لا بد من طرد كل فكر أثيم من الذهن والقلب . فى انجيل متى تحدث الرب له المجد بهذا المثل « كان لإنسان ابنان فجاء إلى الأول وقال يا ابنى اذهب اليوم أعمل فى كرمى . فأجاب وقال ما أريد . ولكنه ندم أخيراً ومضى » مت ٢١ : ٢٨ فهذا الابن يرينا أجمل مثال لتغيير الفكر ، فبعد أن قال لأبيه « ما أريد » غيّر فكره وندم على موقفه تجاه أبيه « ومضى » ليخدم فى كرم هذا الأب الطيب ، لقد ترك فكره الأثيم العاصى وفكر تفكيراً سليما من نحو أبيه وأطاع إرادته .

والتوبة الحقيقية لا بد أن يصحبها حزن على الخطية :

يكتب بولس إلى الكنيسة فى كورنثوس قائلا « الآن أنا أفرح لا لأنكم حزنتم بل لأنكم حزنتم للتوبة . لأنكم حزنتم بحسب

مشيئة الله .. لأن الحزن الذى بحسب مشيئة الله ينشىء توبة للخلاص بلا ندامة » ٢ كو ٧ : ٩ و ١٠ فالشخص الذى يتوب توبة حقيقية ، يدرك ما عملته الخطية فى فاديه ويحزن حزناً قلبياً على خطاياه . . حين جاءت المرأة الخاطئة إلى بيت سمعان الفريسى نقرأ عنها أنها جاءت من وراء المسيح باكية . . وليس من الضرورى أن يبكى الخاطىء التائب بالدموع ، ولكن التوبة الحقيقية لا بد أن تكون مصحوبة بالحزن على ارتكاب الخطية .

والتوبة الحقيقية لا بد أن يصحبها احساس بكراهية الخطية :

وأى فرد يرى المسيح له المجد ، وهو معلق بين السماء والأرض فوق صليب الجلجثة ، والدماء تنزف من جراحاته ، ووجهه الكريم ملطخ بالعرق والدم ولا يكره الخطية التى كانت السبب فى صلب رب المجد ؟

والتوبة الحقيقية أخيراً لا بد أن تكون توبة مثمرة :

لقد قال يوحنا المعمدان للفريسيين والصدوقيين الذين جاءوا إلى معموديته « اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة » مت ٣ : ٨

وثمار التوبة هى إصلاح الأضرار ، ورد المغتصب ، فإذا كنت قد تسببت فى ضرر ما فى حق إنسان ، أو أخذت مالا ليس من حقك ، فإن عليك أن تصلح الضرر ، وتعيد المال إلى صاحبه قبل أن تتوقع غفران الله .

حدثنا دوايت لايمان مودى فى كتابه « The way to God »

قال : جاء إلى شخص كان شعره كله قد علاه الشيب ، مع انه لم يكن يتجاوز الثانية والثلاثين من عمره وقال لى : لعلك تلاحظ أن الشيب قد غطى شعرى ، رغم إننى لم أتجاوز الثانية والثلاثين ، وذلك لأننى أحمل حملا ثقيلا على ضميرى منذ إثنتى عشرة سنة .

قلت : حسناً ما هذا الحمل الذى أتعبك كل هذه السنين ؟

دار بعينيه فى المكان ، كمن يخاف أن يسمعه أحد ثم استطرد قائلا «مات والدى، وترك لنا الصحيفة التى كان يصدرها، لكن حدث بعد موته بفترة قصيرة أن هبط توزيع الصحيفة ، وابتدأنا نعانى من الفقر والحاجة . كانت الصحيفة ومبناها مؤمناً عليهما بمبلغ ألف دولار ، وكان عمرى وقتذاك عشرين عاماً ، أشعلت النار فى المبنى وحصلت على قيمة التأمين وسلمتها لأمى . ومنذ إثنتى عشرة سنة وهذه الخطية تطاردنى . . لقد حاولت أن أتخلص من إحساسى بخطيتى ، بالانغماس فى الملذات والنجاسات . . لعنت الله . . صرت ملحداً . . حاولت أن أقول لنفسى أن الكتاب المقدس غير صحيح ، عملت كل ما أستطيع ، ورغم هذا فقد عشت معذباً كل هذه السنين .

قلت : توجد طريق للخلاص من هذا العذاب .

قال : كيف ؟

قلت : رد المغتصب . . دعنا نجلس معاً ونحسب المبلغ وفوائده، ثم نرد لشركة التأمين المبلغ الذى أخذته منها دون حق، ومعه فوائده عن هذه المدة .

يقيناً أنك كنت تفرح جداً ، لو رأيت النور الذى أشرق على وجه ذلك الرجل ، عندما عرف أنه يستطيع أن ينال الغفران . . وأظهر استعداده بسرور لتسديد المبلغ وفوائده . . ونال خلاص الله .

كم من أناس يعيشون فى حالة اليأس ، يحيط بهم الظلام لأنهم لا يريدون أن يعترفوا بخطاياهم ويتوبوا عنها « من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم » أم ٢٨ : ١٣

إن الرسول بولس يحذر كل شخص غير تائب قائلا « أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة . ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة » رو ٢ : ٤ و ٥

فهل تعزم من الآن أن تتوب توبة حقيقية من القلب ؟ أصرخ إلى الله حالا وقل له «توبنى فأتوب لأنك أنت الرب إلهى» إر ٣١ : ١٨

[٣] آمن ايمانا قلبيا بالرب يسوع المسيح واعترف به اعترافا علنيا : إن التوبة الحقيقية يجب أن يصحبها إيمان حقيق بالرب يسوع المسيح ، لأن التوبة بدون إيمان بالمسيح تعنى قلب صفحة جديدة مع إبقاء الصفحات القديمة ملطخة بدين الخطية الثقيل «وأجرة الخطية هى موت» أما الإيمان بالمسيح، فهو يعنى محو جميع خطايا المؤمن التائب بدمه إذ سدد بموته على الصليب دين خطايانا الرهيب ، بل يعنى أكثر من ذلك نوال العفو من الدينونة نهائياً « لأن أجرة

الخطية هى موت وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » رو ٦ : ٢٣

ويؤكد بولس الرسول أن الطريق الوحيد للخلاص هو الإيمان القلبي بالرب يسوع المسيح فى هذه الكلمات « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت » رو ١٠ : ٩

ولنلاحظ أن الله يطلب إيماناً قلبياً ، فالإيمان العقلى الذى يعنى مجرد المعرفة لا يخلص الإنسان « أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون » يع ٢ : ١٩ وإذن فلابد من إيمان قلبي يغير الحياة ويسيطر عليها ، ويظهر فيها « لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة » غلا ٥ : ٦

إن الإيمان الذى يخلص الإنسان ، هو الإيمان المبنى على معرفة كلمة الله وتصديقها ، بل هو الإيمان الذى يخصص موت المسيح للنفس ، ويقبل المسيح كما تعلنه الكلمة المقدسة .

فالمسيح فى الكتاب المقدس يقدم نفسه كحامل لخطايانا ، والإيمان الذى يخلص يقبله هكذا ويضع كل ثقته فى دمه الثمين لنوال الغفران ، وهو يقدم نفسه كالمحرر لنا من سلطان الخطية والشيطان [يو ٨ : ٣٤ - ٣٦] والإيمان الذى يخلص يقبله هكذا ويتكل عليه تماماً ، ويأخذ منه الحرية الكاملة . . وهو يقدم نفسه كمعلمنا وسيدنا [يو ١٣ : ١٣] والإيمان الذى يخلص يقبله هكذا ويخضع العقل لتعليمه بلا قيد ، ويسلم الحياة كلها لسيادته المطلقة .

والإيمان الذى يخلص هو الإيمان الذى يثق أن الرب يسوع المسيح هو ابن الله كما يقول يوحنا « وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » يو ٢٠ : ٣١

والإيمان الذى يخلص هو الإيمان بالإنجيل ، وقد يسأل واحد قائلا : وما هو الإنجيل ؟ ويجيب بولس قائلا « وأعرفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه وبه أيضاً تخلصون إن كنتم تذكرون أى كلام بشرتكم به . . فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب » ١ كو ١٥ : ١ - ٤ فإنجيل الخلاص رو ١ : ١٦ يحوى هذه الحقائق الثلاث : إن المسيح مات من أجل خطايانا . . . وأنه دفن . . . وأنه قام . . . إنه بشارة الخلاص من دين الخطية ، والنجاة الأبدية من دينونة الله ، والتبرير الكامل للخطاة الذين يقبلون الرب يسوع المسيح كمخلصهم الشخصى .

يحتفظ لنا التاريخ بقصة خلاص الواعظ المعمدانى الأشهر تشارلس هادون سبرجن : نشأ « تشارلس » فى بيت مسيحى ، كان أبوه مبشراً ، وكان جده مبشراً ، وقد تعلم فى طفولته ترنيمات كثيرة ، وقرأ كتباً كثيرة عميقة عن الله ، ولكنه تأكد انه ليس متجدداً ، واشتاق من قلبه وهو فى سن السابعة أن ينال خلاص الله . وفى البداية ظن « تشارلس » أن الخلاص بالأعمال ، فحفظ يوم الرب ، وواظب على حضور الكنيسة ، وحاول أن

يكون صالحاً ، ولكن احساسه بثقل خطاياه ازداد ، وكان فى بعض الأحيان يصلى بحرارة شديدة لله ليرحمه من وطأة احساسه بهذا الحمل الثقيل

لقد رأى تشارلس فظاعة خطاياه ، ولكنه لم يكن يعرف الطريق الذى أعده الله للخلاص .

ولمدة خمس سنوات تعذب تشارلس من حمل الخطية على قلبه ، وكان يذهب كل يوم أحد إلى كنيسة مختلفة عسى أن يجد واعظاً يخبره عن كيفية نوال الخلاص .

وفى يوم أحد ، خرج تشارلس كعادته ليذهب إلى كنيسة من الكنائس الكبرى ، لكن عاصفة ثلجية منعته من الذهاب إلى تلك الكنيسة العظيمة التى كان يرغب فى الحضور فيها ، وهكذا استدار جانباً ودخل إلى اجتماع صغير فى شارع ضيق . كان عدد الحاضرين لا يزيد عن خمسة عشر شخصاً ولم يستطع الراعى أن يحضر بسبب العاصفة ، وهناك وقف رجل طويل نحيل . . لا يعرف أحد صناعته . ليعظ وكانت الآية التى اختارها « التفتوا إلىّ واخلصوا ياجميع أقاصى الأرض » إش ٤٥ : ٢٢ وقال فى حديثه ان كل ما نحتاجه لنوال الخلاص هو أن ننظر بإيمان إلى الرب يسوع الذى مات على الصليب لأجل خطايانا ، واننا إذا نظرنا بالإيمان إليه كمن مات لأجلنا ننال الخلاص .

ورأى الرجل « تشارلس سبرجن » جالساً فى آخر مقعد فى الإجتماع فأشار إليه بأصبعه الطويل قائلا « أيها الشاب الصغير . . انك تبدو حزيناً . . لماذا لا تنظر إلى الرب يسوع المسيح كمن مات لأجلك شخصياً وتخلص . . أنظر . . أنظر . . أنظر . .

وهنا نظر تشارلس إلى المسيح المصلوب لأجله . . ووثق أن المسيح مات على الصليب ليفديه . . وتأكد أن خطاياه قد غفرت وأنه نال خلاص الله .

وقد كتب سبرجن فى مذكراته يقول « لقد نظرت إلى المسيح المصلوب لأجلى بكل قلبى . . وبكل عينىّ . . وتيقنت من أننى نلت الخلاص » .

ولقد استخدم الرب هذا الواعظ المعمدانى العظيم فى خلاص الألوف ، وفى كتابة الكتب العميقة الدسمة ، وقد بيع من عظاته أكثر من خمسين مليوناً من النسخ ، وفى عمره الذى لم يكن طويلا جداً إذ عاش من سنة [١٨٣٤ - ١٨٩٢] خدم الرب أكثر من الكثيرين .

فهل تنظر للمسيح المصلوب لأجلك وتنال الخلاص بالإيمان ؟

حين تذمر شعب الله القديم على الله وأرسل عليهم الرب الحيات المحرقة لتلدغهم « أتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات . فصلى موسى لأجل الشعب . فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر اليها يحيا فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا » عدد ٢١: ٧ - ٩

إن نظرة الملدوغ للحية النحاسية كانت تعنى الإيمان . . كانت تعنى تصديق الله . . وهذه النظرة كان فيها الخلاص الأكيد من الموت المحقق وقد قال الرب يسوع لنيقوديموس « وكما رفع موسى الحية فى

البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » يو ٣ : ١٤

لما سأل حافظ السجن في فيلبي بولس وسيلا « ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص ؟ » قالا « آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص » أع ١٦ : ٣١

فآمن الآن بالرب يسوع كمخلصك الشخصي واستمتع بخلاص الله «له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا» أع ١٠ : ٤٣ « وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى » أع ١٣ : ٣٩ فهل خصصت موت المسيح لنفسك ؟ وهل تقدر أن تقول بحق ويقين « ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي » غلا ٢ : ٢٠

هناك خطوة تالية للإيمان هي خطوة الاعتراف العلني بالرب . إذا كنت قد آمنت فيجب أن تعترف اعترافاً علنياً « آمنت لذلك تكلمت » ٢ كو ٤ : ١٣ ، فالاعتراف العلني هو دليل صدق إيمان القلب ، لأن الإنسان متى آمن حقاً وقبل الرب يسوع وولد ثانية ، يصير الاعتراف بالرب وبالإيمان به هو الخطوة الحتمية التالية ، والاعتراف بالفم مرتبط بالإيمان القلبي في تدبير الله للخلاص ، والإيمان يأتي أولا ويتبعه الاعتراف. فالإيمان والاعتراف مرتبطان معاً إذ يعتبر الاعتراف دليلا على الإيمان .

فهل تعترف بالرب يسوع كمخلصك الشخصي أمام الآخرين

[اقرأ لبركة نفسك مت ١٠ : ٣٢ و ٣٣ وأعمال ٨ : ١ - ٤].

لا تؤجل أمر خلاصك

هذا يقودنا إلى سؤال هام وخطير هو : متى يجب أن يخلص الإنسان ؟

يقول الكتاب المقدس « هوذا الآن وقت مقبول . هوذا الآن يوم خلاص » ٢ كو ٦:٢ « اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» عب ٣ : ٧

لقد سمع فيلكس الوالى بولس الرسول وارتعب من تأثير حديثه عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون ولكنه أجاب « أما الآن فاذهب ومتى حصلت على وقت أستدعيك » أع ٢٤:٢٥ وبتأجيله أمر خلاصه مات وذهب إلى الجحيم . فلا تؤجل أمر خلاصك .

ذكر خادم من خدام الرب فى كتاب له خمسة أمور ترينا خطر تأجيل الخلاص نذكرها باختصار مضيفين اليها بعض التعليق .

١ ـ التأجيل خطر لأن كل يوم يقضى فى الخطية هو يوم ضائع من العمر فالحياة الحقيقية هى الحياة مع المسيح فى ١ : ٢١

٢ ـ التأجيل خطر لأنه يضاعف عدد المشاكل التى لا يمكن حلها ، فالله يغفر الخطية لأجل خاطر المسيح ، ولكن آثارها السيئة تستمر فى الجسد، لقد غفر المسيح للص وجدد قلبه، ولكنه لم ينزله من على الصليب ولم ينقذه من الموت الجسدى الذى كان عقابا عادلا لخطاياه . . وكم من أناس يؤجلون أمر خلاصهم فتفسد الخمر صحتهم ، وتهد النجاسة أجسادهم ، وتملأ المشاكل أيامهم .

٣ - التأجيل خطر لأنه من المحتمل أن تفقد النفس فى أية لحظة الاقتناع بفظاعة الخطية إذ لا يعود الله يكلم الخاطىء بروحه القدوس،وكم من أشخاص قاوموا الروح القدس طويلا حتى وصلوا إلى حالة قساوة القلب ، ورفض التحذيرات مثل فرعون .

٤ - التأجيل خطر لأنك قد تموت قبل حلول الغد . قال داود « إنه كخطوة بينى و بين الموت » ١ صم ٢٠ : ٣ ، فربما قبل أن يأتى الغد ، يتوقف قلبك ، وتغلق شفتاك ، وتمضى إلى القبر بلا مسيح .

٥ - التأجيل خطر لأن الرب يسوع قد يأتى قبل الغد،فنى ساعة لا تظنها سينتهى يوم النعمة ويبدأ يوم النقمة لأولئك الذين رفضوا خلاص الله .

ونضيف أن التأجيل يضيع وقت خدام الله الأمناء ، ويجعل الخاطىء مثلا سيئاً للآخرين .

لذلك يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين « فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره » عب ٢ : ٣

ويقول الرب فى سفر الأمثال « لأنى دعوت فأبيتم ومددت يدى وليس من يبالى . بل رفضتم كل مشورتى ولم ترضوا توبيخى . فأنا أيضاً أضحك عند بليتكم . اشمت عند مجىء خوفكم . إذا جاء خوفكم كعاصفة وأتت بليتكم كالزوبعة إذا جاءت عليكم شدة وضيق . حينئذ يدعوننى فلا أستجيب » أم ١ : ٢٤ - ٢٨

تحدث أحد المؤمنين مع صديقه قائلا: عندى ثلاثة أسئلة أريدك أن تجيب عليها بصراحة! فوعده صديقه بذلك. فقال: السؤال الأول هو: هل تثق أن الله يقدر أن يخلصك ويطهرك بدم المسيح الكريم؟ أجاب: أنا واثق أنه يقدر.

فقال: السؤال الثانى هو: هل تثق أن الله يريد أن يخلصك؟ فأجاب: أنا أثق أن الله يريد أن يخلصنى.

فقال: السؤال الثالث هو: هل تثق أن الله يقدر أن يخلصك الآن؟ بقى الصديق لحظة ساكتا.. وأخيراً قال: نعم إنه يقدر أن يخلصنى الآن.. وأحنى ركبتيه وطلب الخلاص.. ونال الخلاص.

فيا صديقى المحبوب: تعال إلى الرب الآن، وخذ منه راحة الغفران فهو الذى نادى الخطاة المتعبين من ثقل الخطية قائلا «تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم» مت ١١ : ٢٨

ماذا بعد الخلاص؟

بعد أن تنال خلاص الله، لا تتوانى عن أن تعتمد بالماء.. إن خطوات الحياة المسيحية هى الصلب.. والدفن.. والقيامة مع المسيح والشخص الذى قبل المسيح المصلوب كمخلصه الشخصى يقدر أن يقول «مع المسيح صلبت» غلا ٢ : ٢٠، والشخص الذى اعتمد بالماء بالتغطيس يقدر أن يقول «مع المسيح دفنت» [اقرأ لبركة نفسك رو ٦ : ٣ و ٤ وكولوسى ٢ : ١٢] وحين

يخرج من ماء المعمودية يقدر أن يقول « مع المسيح قمت » [اقرأ كولوسى ٢ : ١٢] فأسرع بعد تجديدك واعتمد بالماء ، وثق أن فرحاً سماوياً سيملأ قلبك ، وسروراً فياضاً سيغمر نفسك لأنك ستتحد بالمسيح فى موته وقيامته .

واذكر أن المعمودية بعد الإيمان هى وصية الرب الصريحة إذ قال بفمه المبارك « من آمن واعتمد خلص » مرقس ١٦ : ١٦ عندما تجدد شاول الطرسوسى قال له حنانيا « والآن لماذا تتوانى . قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب » أع ٢٢ : ١٦ « وقام واعتمد » اع ٩ : ١٨

فهل تفعل كما فعل ذلك الرسول العظيم ؟ وهل تقدر أن تقول بحق « مع المسيح صلبت » و « دفنت » و « قمت » .

احذر من أن ترفض حق الله بخصوص معمودية الماء ، فهو حق كتابى ثمين واذكر كلمات الرب يسوع « إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى واليه نأتى وعنده نصنع منزلا » يو ١٤ : ٢٣



الفصل الثالث

يقين الخلاص

هل يمكن لمن يؤمن إيماناً قلبياً بالرب يسوع المسيح أن يتيقن تماماً من نواله الخلاص وهو يعيش على هذه الأرض ؟

يقيناً أن امتياز كل مؤمن مولود من الله هو الحصول على يقين كامل ومعرفة أكيدة ترتفع فوق كل شك بأنه قد نال خلاص الله .

والشخص الذى يخالجه الشك من جهة خلاصه لا يصلح البتة لخدمة الله ، إذ كيف يمكن لمثل هذا الشخص أن يربح نفوساً للمسيح ؟! .

حين دعا الرب موسى قائلا « فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي .. من مصر » خر ٣ : ١٠ لم يرد موسى أن يذهب إلا بعد أن تيقن تماماً من دعوته إذ أجاب الرب قائلا « ها هم لا يصدقوننى ولا يسمعون لقولى . بل يقولون لم يظهر لك الرب » خر ٤ : ١ وأعطاه الرب ثلاث آيات أكد له بها دعوته ثم قال له « أنا أكون مع فمك » خر ٤ : ١٥ وبهذا اليقين الشديد ذهب موسى ونجح فى الخدمة التى أرسله الله إليها .

ولا يمكن أن يوجد شخص لم يتيقن خلاصه يرضى بأن يبذل من وقته وقلبه لعمل الله ، ولقيادة الآخرين للصليب ، فالشخص المثقل بالشك لا يستطيع ان يساعد الخطاة المثقلين بأعمال الخطية ، ولذا

فإن الله فى محبته يريد ان كل شخص ينال الميلاد الثانى ويدخل فى أسرته، ويخلص بنعمته ، يتأكد تماما من نواله الخلاص وهو على هذه الأرض « كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكى تعلموا أن لكم حياة أبدية ولكى تؤمنوا باسم ابن الله » ١ يو ٥ : ١٣

ويشمل يقيننا كمؤمنين بالرب يسوع المسيح أربع دوائر :

الدائرة الاولى هى دائرة يقين مقامنا :

فنحن مخلصون ١ كو ١ :١٨، وقد غفرت خطايانا ١يو٢:١٢، وقد اغتسلنا ١ كو ٦ : ١١ ، وتقدسنا ١ كو ٦ : ١١ ، وتبررنا ١ كو ٦ : ١٢ ، وصرنا أولاداً لله ١ يو ٣ : ١ ، وأصبحنا مملوئين فى المسيح كو ٢ : ١٠

الدائرة الثانية هى دائرة يقين مالنا :

فنحن لنا الفداء أفسس ١ : ٧ ، ولنا سلام مع الله رو ٥ :١ ، ولنا حياة أبدية يو ٣ : ١٤ ، ولنا الروح القدس ١ كو ٢ : ١٢ ، ولنا كلمة الله يو ١٧ : ١٤ ، ولنا رئيس كهنة عب ٨ : ١ ، ولنا شفيع عند الآب ١ يو ٢ : ٢

الدائرة الثالثة هى دائرة يقين علمنا :

فنحن نعلم أننا من الله ١ يو ٥ : ١٩ ، وأننا انتقلنا من الموت إلى الحياة ١ يو ٣ : ١٤ ، وأننا من الحق ١ يو ٣ : ١٩ ، وأننا فى المسيح ١ يو ٢ : ٥ ، وأن المسيح يثبت فينا ١ يو ٣ : ٢٤ ،

وأن لنا حياة أبدية ١ يو ٥ : ١١ . وأن لنا فى السموات بناء من الله ٢ كو ٥ : ١ .

الدائرة الرابعة هى دائرة يقين مستقبلنا :

فنحن متيقنون أننا سنقوم حين يأتى الرب ١ تس ٤ : ١٦ ، وأننا سنتغير ١ كو ١٥ : ٥٢ ، وأننا سنختطف ١ تس ٤ : ١٧ ، وأننا سنراه ١ يو ٣ : ١٢ ، وأننا سنكون مثله ١ يو ٣ : ٢ ، وأننا سنكون معه ١ تس ٤ : ١٧ ، وأننا سنشبع برؤياه مز ١٧ : ١٥

وبغير شك أن جميع المؤمنين فى كنائس العصر الرسولى قد استمتعوا باليقين الكامل من جهة خلاصهم ولذا استطاعوا أن يهتفوا مرددين كلمات الرسول بولس « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح » رو ٥ : ١

وكذلك استمتع المؤمنون فى العهد القديم على أساس إيمانهم بالمخلص الآتى بهذا اليقين .

فأيوب كان ممتلئاً باليقين من جهة خلاصه حتى قال « أما أنا فقد علمت أن وليي [أى فادىّ] حى والآخر على الأرض يقوم . وبعد أن يفنى جلدى هذا . . أرى الله . الذى أراه أنا لنفسى وعيناى تنظران وليس آخر » ايوب ١٩ : ٢٥ - ٢٧

وداود الملك امتلأ بذات اليقين حتى هتف « كبعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا » مز ١٠٣ : ١٢

واشعياء نال هذا اليقين حين قال له واحد من السرافيم « إن هذه قد مست شفتيك فانتزع إثمك وكفر عن خطيتك » إش ٦ : ٧

وبولس كان له اليقين البهيج حتى قال « لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا فى السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بيد أبدى » ٢ كو ٥ : ١

ويوحنا فاض اليقين فى قلبه فهتف مردداً « أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون . ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو » ١ يو ٣ : ٢

وبطرس غمره نور اليقين فكتب قائلا « أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن » ١ بط ٥ : ١

والمؤمنون فى كولوسى استمتعوا بذات اليقين حتى كتب لهم الرسول بولس قائلا « شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته » كو ١ : ١٢ و ١٣ .

واسطفانوس لمع وجهه بنور اليقين فهتف أمام مضطهديه قائلا « ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله » أعمال ٧ : ٥٦

إن يقين الخلاص هو القوة التى عضدت المؤمنين والشهداء فى

كنائس العصر الرسولى ، ليقابلوا الموت ، والاضطهاد ، والحرمان بفرح ، ولا يعقل أن هؤلاء الأبطال العظام قد داخلهم أقل شك من جهة خلاصهم ، وذهابهم إلى السماء . إذ ليس فى مقدور من يخالجه الشك من جهة خلاصه وذهابه إلى السماء أن يرضى بالموت والحرق بالنار ، وتسليم جسده للوحوش المفترسة ، وهو ليس متيقناً تماماً من جهة أبديته .

إن الشك فى « يقين الخلاص » قد يأتى لبعض أولاد الله الأعزاء بسبب ظنهم أنهم ما زالوا عبيداً مع أن الرب له المجد يقول لتلاميذه « لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده . لكنى قد سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى » يو ١٥ : ١٥ ، وقد يأتى بسبب النظر إلى الذات ، والنظر إلى الذات يملأ الإنسان بالحزن والكآبة .. قال قديس قديم « هناك ثلاث اتجاهات يمكنك أن تنظر إليها .. إن أردت أن تكون تعساً انظر داخلك ، وإن أردت أن تكون حائراً انظر حولك ، وإن أردت أن تمتلىء سلاماً انظر فوقك » لقد نظر بطرس حوله ، ولم ينظر إلى الرب فابتدأ يغرق وقال له الرب « يا قليل الإيمان لماذا شككت » مت ١٤ : ٣١ لقد أمره الرب أن يأتى إليه ، وكان يجب ان يثق تماماً فى كلمته التى هى أقوى من الجرانيت . وأشد متانة من الحديد ولكنه حوّل عينيه عن مخلصه .

يقول إشعياء النبى « ذو الرأى الممكن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكل » إش ٢٦ : ٣ فلا تنظر إلى ذاتك بل « مكن عقلك فى الرب » « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع » عب ١٢ : ٢

وهناك سبب ثالث للشك هو الارتداد ولذا يقول بطرس الرسول « ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا فى إيمانكم فضيلة وفى الفضيلة معرفة وفى المعرفة تعففاً وفى التعفف صبراً وفى الصبر تقوى وفى التقوى مودة أخوية وفى المودة الأخوية محبة . لأن هذه إذا كانت فيكم وكثرت تصيركم لا متكاسلين ولا غير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح . لأن الذى ليس عنده هذه هو أعمى قصير البصر قد نسى تطهير خطاياه السالفة » ٢ بط ١ : ٥ – ٩

أما السبب الأخير للشك فهو التعاليم غير الكتابية ، فكم من رجال دين فى مراكز كبرى يقولون لسامعيهم بكل جسارة إن أحداً لا يستطيع التيقن من خلاصه فى هذه الحياة ، وان الاعتراف بنوال الخلاص هو غرور وكبرياء ، وهذا تعليم خطر يناقض تماماً كلمة الله النقية الصافية ، ومع ذلك فقد خدع هذا التعليم الكثيرين . ولقد دخلت تعاليم غريبة من هذا الطراز إلى كنائس غلاطية حتى كتب لهم بولس بالروح القدس قائلا « أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً » غلا ٣ : ١ « كنتم تسعون حسناً . فمن صدكم حتى لا تطاوعوا الحق . هذه المطاوعة ليست من الذى دعاكم . خميرة صغيرة تخمر العجين كله » غلا ٥ : ٧ – ٩

إن التعليم بأن المؤمنين المولودين من الله يجب أن « يمشموا » فى نوال الحياة الأبدية هو تعليم خطر يفقد النفس سلامها ، فأنا لا « أتعشم » أن أكون « مصرياً » ، بل أنا أعلم أننى «مصرى» بالولادة ، ولا « أتعشم » أن أتزوج فقد تزوجت فعلا ، والأمور

التى تمت وانتهت يجب أن نتيقن منها تماماً ، والمؤمن الذى قبل الرب يسوع المسيح يجب أن يتأكد بيقين كامل خلاصه الأبدى ، فاليقين هو المستوى الصحيح لكل مؤمن بحسب تعليم كلمة الله .

والآن ما هى الأسس التى يبنى عليها المؤمن المولود من الله يقين خلاصه الابدى ؟

إن «يقين الخلاص» لا يبنى على أساس الشعور الشخصى بالفرح، فالشعور يتغير، ولقد قال الرب له المجد فى مثل الزارع، عن المزروع على الأماكن المحجرة ، انه يمثل الشخص «الذى يسمع الكلمة وحالا يقبلها بفرح ولكن ليس له أصل فى ذاته بل هو إلى حين . فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر» مت ١٣ : ٢٠ و ٢١

فالفرح الوقتى الناجم عن سماع كلمة الله ليس هو أساس يقين الخلاص . بل انه من الخطأ أن نعتمد على مشاعرنا المتقلبة فى تأكيد حقيقة خلاصنا .

فما هى أسس يقين الخلاص إذن ؟

أولا — اليقين على أساس عمل المسيح الكامل لأجلنا:

كان العبرانى حين يخطىء ينال الصفح بواسطة ذبيحة الخطية التى يقدمها ، وهذا ما نقرأه فى الكلمات «وإن أخطأ أحد من عامة الأرض سهواً بعمله واحدة من مناهى الرب التى لا ينبغى عملها واثم . ثم أعلم بخطيته التى أخطأ بها يأتى بقربانه عنزاً من المعز

أنثى صحيحة عن خطيته التى أخطأ . ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبح ذبيحة الخطية فى موضع المحرقة . ويأخذ الكاهن من دمها بإصبعه ويجعل على قرون مذبح المحرقة ويصب سائر دمها إلى أسفل المذبح . وجميع شحمها ينزعه كما نزع الشحم عن ذبيحة السلامة ويوقد الكاهن على المذبح رائحة سرور للرب ويكفر عنه الكاهن فيصفح عنه » لا ٤ : ٢٧ - ٣١ فبمجرد أن يضع الخاطىء يده على رأس ذبيحة الخطية ، وتذبح الذبيحة ويوضع من دمها على قرون مذبح المحرقة ، ويحرق شحمها على المذبح « يصفح عن الخاطىء » ولو أنك قابلت أحد العبرانيين بعد تقديمه ذبيحة الخطية وسألته : هل أنت واثق أن الله قد صفح عنك وغفر خطيتك ؟ لأجاب بيقين : أجل أنا واثق كل الثقة .

— وعلى أى أساس ؟

— على أساس موت ذبيحة الخطية عوضاً عنى .

إن أجرة الخطية هى موت ... وموت الخطية مزدوج نراه بصورة واضحة فى ذبائح العهد القديم ، فالذبح يعنى الموت الجسدى للذبيحة ، والحرق بالنار على المذبح ، يعنى الطرح فى جهنم البحيرة المتقدة بالنار والكبريت .

ولكن المؤمن الذى قبل الرب يسوع المسيح كمن مات لأجله على الصليب قد نجا من دينونة الله نهائياً « إذاً لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع » رو ٨ : ١ وأساس نجاته هو ما عمله الرب يسوع لأجله على الصليب .

حين كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع

بعد قيامته ووقف فى الوسط وقال لهم « سلام لكم . ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب » يو ٢٠ : ١٩و٢٠ فأساس يقيننا وسلامنا هو فيما عمله المسيح لأجلنا « أراهم يديه وجنبه » فموت المسيح قد سدد مطاليب الله من كل جهة . فهل يمكن أن يطالبنا الله بتسديد دين الخطية الذى سدده عنا الرب يسوع ؟ وإذا كان المسيح له المجد قد حمل خطاياى فى جسده على الخشبة فهل يمكن أن يحاسبنى الله مرة ثانية على تلك الخطايا ؟

عندما كان شعب الله القديم فى أرض مصر قال لهم الرب « فإنى أجتاز فى أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم ... ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها . فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك » خر ١٢ : ١٢ و ١٣

كان لابد من أن تقع الضربة على الأبكار ، ولكن أبكار شعب الله القديم كانوا فى أمان كامل . . كانوا فى يقين تام من جهة خلاصهم من ضربة الهلاك .

فعلى أى أساس ملأهم هذا اليقين البهيج ؟

على أساس الدم المسفوك الموضوع على العتبة العليا والقائمتين .

وتعال معى لندخل بيتاً من بيوت شعب الله . . إننا نرى علامات الاطمئنان والفرح والسلام تغمر وجوه أفراد الأسرة . . وكلهم أحذيتهم فى أرجلهم وعصيهم فى أيديهم وهم يأكلون من لحم خروف الفصح . دعنا نسألهم : ما سر فرحكم واطمئنانكم وسلامكم ؟

إنهم يجيبون وعيونهم تلمع بنور الرجاء : هذه ليلة حريتنا . . إننا سنخرج من بيت العبودية إلى الأبد

ونسألهم للمرة الثانية : ولكن ، ألا تعلمون أن الرب سيجتاز الليلة ليضرب كل بكر فى أرض مصر ؟

ويجيبون قائلين : أجل نعلم هذا ، ولكن بكرنا لن يصاب بسوء لأن الذبيحة قد ماتت عوضاً عنه . . ونحن قد وضعنا الدم على العتبة العليا والقائمتين حسب أمر إلهنا ، وهو قد قال لنا « فأرى الدم وأعبر عنكم » خر ١٢ : ١٣ إن « الدم » هو أساس فرحنا ويقيننا .

وشكراً لله إلى الأبد ، لأننا نثق فى قدرة دم المسيح المسفوك لأجلنا ، ونعلم أننا فى أمان كامل تماماً كما كان العبرانيون قديماً فى بيوتهم فى مصر بعد أن وضعوا الدم كما أوصاهم الله «لأنه جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه » ٢ كو ٥ : ٢١

منذ عدة سنين تجددت فتاة اسمها «فيبى» فى اجتماع من اجتماعاتنا وبعد تجديدها ملأها الشيطان بالشك فى أمر خلاصها ، والشيطان دائماً يعمل ثلاثة أشياء : فهو أولا يعبىء كل جنوده لإبعادنا عن المسيح ، وإذا فشل فهو يعبىء قواه لإلقائنا فى « قصر الشك الرهيب » ، وإذا رأى فينا يقيناً مشرقاً ، وشهادة لامعة لفادينا فهو يحاول عندئذ أن يشوه سمعتنا ، ويكذب شهادتنا .

ذهبت إلى « فيبى » فوجدتها تبكى ، لقد ظنت أن الرب قد أخذ خلاصه منها بعد أن وهبه لها مع أن « هبات الله ودعوته هى

بلا ندامة » رو ١١ : ٢٩ ، وعندئذ أريتها ما عمله الرب لأجلها وقرأت لها من كلمة الرب هذه الآية المباركة « كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا » إش ٥٣ : ٦ ولما وثقت فيما عمله الرب لأجلها ، وكيف حمل هو نفسه خطاياها فى جسده على الصليب ، أشرق وجهها بالفرح ، وإلى اليوم ما زالت مبتهجة بخلاصها .

فهل قبلت المسيح كمخلصك الشخصى ؟ وهل لك اليقين الكامل على أساس ما عمله الرب لأجلك على الصليب ؟

ثانيا — اليقين على أساس كلمة الله الثابتة : كتب بطرس الرسول قائلا « لأن كل جسد كعشب وكل مجد انسان كزهر عشب . العشب يبس وزهره سقط . وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد . وهذه هى الكلمة التى بشرتم بها » ١ بط ١ : ٢٤ و ٢٥

تعال معى لندخل مرة ثانية أحد بيوت العبرانيين القدماء ونسأل البكر هذا السؤال : هل أنت متيقن من نجاتك من الملاك المهلك ومتأكد تماماً من خلاصك من الموت هذه الليلة ؟

اسمعه وهو يجيب : أجل أنا واثق تماماً من خلاصى ونجاتى ؟

ـ وعلى أى أساس ؟

ـ على أساس كلمة الله ، لقد وعد « فأرى الدم وأعبر عنكم » خر ١٢ : ١٣ وهو صادق فى وعده .

ـ ولكن ألا يعتريك الخوف ؟

ـ الخوف . . كلا أنا لست خائفاً لأننى أثق فى كلمة الله ، وأصدق وعد الله .

وكل مؤمن يثق فى كلمة الله لابد أن يتيقن خلاصه الأبدى ، ولكن عدم تصديق كلمة الله يعنى اننا نجعل الله «كاذباً» ، أما تصديق كلمة الله فتعنى إيماننا الصحيح بالله .

إصغ إلى كلمات يوحنا الحبيب وهو يقول «إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم لأن هذه هى شهادة الله التى قد شهد بها عن ابنه من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة فى نفسه . من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التى قد شهد بها الله عن ابنه . وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه . من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة» ١ يو ٥ : ٩ - ١٢

فهل تصدق شهادة الله عن ابنه ؟ هل قبلت ابن الله فى قلبك ؟ فى الأصحاح الخامس من انجيل يوحنا نقرأ كلمات ربنا القائلة «الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» يو ٥ : ٢٤ وهذه الآية تحوى خمس حقائق

الحقيقة الأولى : حقيقة السماع ، والسماع ضرورى للإيمان «كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به» رو ١٠ : ١٤

الحقيقة الثانية : حقيقة الإيمان ، والإيمان ضرورى للخلاص «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص» أع ١٦ : ٣١

الحقيقة الثالثة : حقيقة امتلاك الحياة الأبدية «فله حياة أبدية».

الحقيقة الرابعة : حقيقة النجاة من الدينونة «ولا يأتى إلى دينونة»

الحقيقة الخامسة : حقيقة الانتقال من الموت إلى الحياة « بل قد انتقل من الموت إلى الحياة »

فالمؤمن المولود من الله انتقل نهائياً من الموت إلى الحياة ، ولا يمكن أن يعود للموت مرة أخرى، لأن له حياة أبدية، ولا يأتى إلى دينونة . .

فهل تضع يقينك على أساس أحاسيسك ومشاعرك المتقلبة التى تتغير، بالفرح والحزن ، وتؤثر فيها تجارب الحياة ومفاجآتها، لم تضع يقينك على أساس مواعيد الله الثابتة ؟

إذا نال أحدهم « ليسانس فى الآداب » وسألته : هل تحمل ليسانس الآداب ؟ وأجابك : نعم . فقلت له : أين هو الدليل على نوالك هذه الشهادة العليا ؟ فأجابك : إننى أشعر بفرح وهذا دليل على أننى حصلت على الليسانس . ألا تضحك من قلبك على مثل هذه الإجابة ؟ إن الدليل القوى الثابت : هو الشهادة ذاتها ... هو الكلمة المكتوبة . . ويقين خلاص المؤمن المولود من الله مبنى على أساس كلمة الله لا على أساس الشعور والإحساس .

حدثنا دكتور ايرنسيد الواعظ والمؤلف الأمريكى المشهور بهذه القصة الواقعية قال: « منذ سنوات كنت أعقد سلسلة اجتماعات خاصة بالكنيسة المعمدانية بلوس جاتوس بكاليفورنيا ، وكانت رسالة أول أحد فى الصباح آيتها « كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً . ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن

يعطش إلى الأبد ، يو ٤ : ١٣ و ١٤ واسترعت انتباهى فتاة شاحبة الوجه ، سوداء العينين تجلس فى المقعد الأول ، وكانت تصغى للرسالة فى شوق ، وبعد الخدمة سألت راعى الكنيسة « من هذه الفتاة ذات الوجه المريض الجميل التى كانت تجلس فى المقعد الأول؟ » أجاب : « إنها فتاة مهذبة ، ولكنها منذ سنوات مضت ، ألقت بالمسيحية جانباً ، وسارت فى سيرة عالمية ، محاولة أن تجد الشبع والسلام فى مباهج العالم الحاضر ، مع أنها تربت فى بيت مسيحى ، ولكنها منذ خمسة شهور أصيبت بنوع شديد من السل الرئوى ، ولم يبق أمامها سوى زمن قصير للحياة على هذه الأرض ، إنها تفقد قواها يوما بعد الآخر . وقد قال الطبيب إنها ستنتهى قريبا ، وهى الآن فتاة تعسة فقدت سعادتها . » صليت من أجلها .. وكنت أتطلع كل ليلة بين الجمهور وأنا أرجو أن أراها وقد جاءت لتسمع رسالة الإنجيل ولكننى لم أرها . . وبعد ثلاثة أسابيع اتصلت بى سيدة وقالت : هل تذكر أنك قابلت مس هـ ـ ؟ فتذكرت أنها الفتاة المريضة ، واستطردت محدثتى تقول « إنها مريضة جداً ، والسل يقربها من الموت ، وقد سمعتك فى أول خدمة قمت بها هنا ، وكانت ترغب أن تستمر فى سماعك لولا ضعفها الشديد ، وقد أرسلت تدعوك لزيارتها . » ذهبت معها على الفور ، ورأيت الفتاة المسكينة فى غرفتها ، وقد اعتذرت لنا لأنها لم تقو على الوقوف لمصافحتنا . قلت لها : إننى سعيد لأنك أرسلت تطلبيننى . قالت « دكتور ايرنسيد ، لقد أخبرنى الطبيب بالأمس أن كل مدتى فى الحياة هى ثلاثة أسابيع ، وأنا لم أنل الخلاص ، وأريد أن أعرف المسيح ، فهل تظن أنه يقبل فتاة مثلى رفضته بمحض اختيارها لما كانت فى

ملء الصحة . وتريد أن تعود إليه بعد أن حطمها المرض تماماً؟ هل تعتقد أن هناك أى رجاء لى ؟ . . إن نظرة الإنسان تتغير للحياة عندما يعلم أنه ليس أمامه سوى ثلاثة أسابيع ليعيشها على الأرض.. إن إهماله عندئذ يذوب عندما يذكر أنه سيقابل الله . .

أجبتها : « لقد سمعت أنك تمتعت بكثير من مباهج الحياة وأن العالم قد قدرك كل التقدير ، قالت بسرعة: « أرجوك ، لا تذكر هذا الآن ، إننى بعت نفسى فى سبيل الشهرة العالمية ، لقد ظننت أنى سأجد فى ذلك السعادة والفرح ، ولكن العالم لم يعطنى سلاماً ، ولا شبعاً ، وها أنذا أواجه الأبدية، ليس أمامى إلا ثلاثة أسابيع ثم أقابل الله لأعطى حساباً عن نفسى والشىء المخيف هو أننى لم أنل الخلاص»

كانت فرصة مليئة بالفرح لنفسى ، وأنا أشرح لهذه الفتاة كيف أن الرب يسوع المبارك قد ترك السماء وأمجادها وجاء إلى الأرض ثم ذهب إلى الجلجثة إلى أعماق اللعنة لكى يفديها، وكيف أنها لو وثقت فيه بقلبها واعترفت بذنبها له ، فإنه سيمحو كل خطاياها الماضية ، وقدتها إلى الآية الموجودة فى يوحنا ٣:١٨ « الذى يؤمن به لا يدان والذى لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد » ثم سألتها « هل تؤمنين أن يسوع المسيح هو ابن الله ؟ » أجابت: «نعم» سألتها « هل تؤمنين أن الله الآب أرسله إلى العالم ليموت لأجل الخطاة ؟ » أجابت«نعم .هذا موجود فى الكتاب المقدس وأنا أؤمن به» سألتها : هل تؤمنين أنه كان يعنيك أنت بالذات عندما قال « من يقبل إلىّ لا أخرجه خارجاً» أجابت «إن هذه الآية تعنى كل انسان أليس كذلك؟» قلت « نعم . لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى

لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » يو ٣ : ١٦ قلت لها : هل عبارة « كل من » تعنيك أنت أيضاً ؟ قالت « نعم إنها تعنيني بلا شك » قلت لها « إذاً أخبريني ماذا يقول الرب يسوع عنك ؟ تأملي في يو ٣ : ١٨ ولاحظي أنه لا يوجد سوى فريقين من الناس ، الفريق الأول هو « الذي يؤمن به » والفريق الثاني هو « الذي لا يؤمن به » ولاحظي أنه يوجد نتيجة لكل من الفريقين ، فمن الفريق الأول قال « الذي يؤمن به لا يدان » وعن الفريق الثاني يقول « والذي لا يؤمن قد دين » والآن قبل أن أسألك من أي الفريقين أنت دعينا نركع ونصلي . . لم يكن في مقدورها الركوع ، ولكني ركعت مع صديقتها وصلينا ، وطلبنا من الله أن يفتح أمامها الكلمة المقدسة بالروح القدس ، وأن يجعلها تقبلها بقوة في قلبها . . قمنا من الصلاة ثم قلت لها «إقرئي الآية ثانية، هل لاحظت الفريقين . . من أي فريق أنت ؟ » سكتت مدة طويلة بينما كنا نصلي ، وبعدها رفعت عينيها إلى فوق ولمعت الدموع في هاتين العينين الجميلتين وقالت : « إنني من الفريق الأول » فقلت لها « كيف عرفت ذلك ؟ » قالت «لأنني أومن بالرب يسوع . . والآية لا تقول إنه سيرفضني لأنني جئت متأخرة . . كلا . . لقد أتيت وأنا أومن به من قلبي » فقلت « وماذا لك بعد ذلك ؟ » فتأملت الآية ثم همست « لا أدان » سألتها : هل هذا يكفيك كأساس لمقابلة الله ؟ » اجابت « نعم . لن أدان » كانت على بعد ثلاثة أسابيع من الأبدية ولكنها استراحت على كلمة الله ! وقد رأيتها مرتين بعد ذلك ، وانتهت اجتماعاتي ، وبعد خمسة أسابيع قابلت الراعي الهمداني

فى الطريق فقال لى : « هل تذكر مس هـ ؟ » وهل تعلم أنه بعد ان قدتها للرب بثلاثة أسابيع ، دعونى إلى جوار فراشها وهى تحتضر سألتها « هل تسمعينى ؟ أجابت « نعم » قلت « هل تؤمنين بالرب يسوع كمخلصك الشخصى ؟ » أجابت « نعم » قلت لها : « وماذا قال عنك ؟ » وهمست « لن أدان » ثم استطردت قائلة « إذا قابلت دكتور إيرنسيد قل له إننى لن أدان وكل شىء جميل » وانطلقت ، بعد ذلك إلى المجد .

هذه قصة حقيقية لفتاة وثقت فى كلمة الله وهى فى أيامها الأخيرة على الأرض ، وتيقنت على أساس وعد الرب الصريح من خلاصها الأبدى وذهبت للسماء .

يحتفظ لنا التاريخ الانجليزى باختبار فريد فى حياة الملكة فكتوريا فقد كانت الملكة تصلى ذات يوم فى إحدى كنائس لندن، وبعد سماع الرسالة سألت راعى الكنيسة : هل يمكن لمن يؤمن إيماناً قلبياً بالرب يسوع المسيح أن يتيقن تماما من خلاصه الأبدى وهو على هذه الأرض ؟ وأجابها الراعى : إنه لا يعرف بحسب دراسته كيف يمكن للإنسان أن يتأكد تماماً من خلاصه الأبدى . وأن على الإنسان أن ينتظر حتى يقف أمام الله . . ولما ظهر هذا الحديث فى النشرة الملكية قرأه رجل اسمه « يوحنا تونسند » كان كاستفانوس مملوءاً من الروح القدس ، وبعد صلوات وتأملات كثيرة كتب « يوحنا تونسند » للملكة « فكتوريا » خطاباً هذا نصه :

« إلى جلالة ملكتنا المعظمة فكتوريا من أحد رعاياها المخلصين : بيدين مرتجفتين ، ولكن بقلب مفعم بالمحبة ، اكتب إليك هذا

الخطاب لأننى واثق وموقن أننا نقدر أن نتأكد تماما فى هذه الحياة خلاصنا الأبدى ، وذهابنا لذلك المكان الذى أعده الرب يسوع لأجلنا فى بيت الآب .. إننى أرجو من جلالتك أن تقرئى هذه الأجزاء الثمينة من كلمة الله [يوحنا ٣:١٦ ، ورومية ١٠: ٩و١٠] وستجدين أن هذه الآيات تؤكد لنا الخلاص التام بالإيمان بالمسيح يسوع للذين يؤمنون بعمله الفدائى الكامل ، ويقبلونه كالمخلص الذى مات لأجلهم على الصليب — من خادمك لأجل المسيح — يوحنا تونسند » .

وبعد أن أرسل الرجل التقى هذا الخطاب للملكة فكتوريا ، صلى مع بعض أصدقائه من أجل هذا الموضوع الخطير ، وبعد حوالى أسبوعين تسلم خطاباً من الملكة فكتوريا به الرد التالى :

« إلى الأخ يوحنا تونسند

وصلنى خطابك المبارك ، ورداً عليه أبلغك إننى قرأت بإمعان وصلاة الأعداد التى لفت نظرى إليها ، وقد قادتنى إلى الإيمان الحق بعمل المسيح الكفارى لأجلى على الصليب ، وأثق أننى سأقابلك بنعمته فى ذلك المنزل الذى أعده لنا ـ فكتوريا » .

فهل تثق فى كلمة الله الثابتة وتتأكد خلاصك ؟ لقد قال الرب يسوع المسيح « من يقبل إلىّ لا أخرجه خارجاً » يو ٦ : ٣٧ فهل اقبلت إليه ؟ وقال أيضاً « انا هو الباب إن دخل بى احد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى » يو ١٠ : ٩ فهل دخلت من باب الخلاص الوحيد وتيقنت خلاصك؟ كتب يوحنا الحبيب فى الاصحاح

العشرين من بشارته قائلا « وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » يوحنا ٢٠ : ٣٠ و ٣١ فهل آمنت بأن المسيح هو ابن الله الذى حمل خطاياك وامتلكت الحياة الأبدية ؟

تعال معى لنقابل المرأة الخاطئة التى دخلت إلى بيت سمعان ، تأملها وهى داخلة ، ترى الدموع فى عينيها ، والكآبة تغطى وجهها ، وتأملها وهى خارجة بعد مقابلة الرب تجد فى عينيها فرح الرجاء ، وعلى وجهها سلام الغفران .

تعال نسألها : هل أنت متيقنة من نوالك الخلاص يا امرأة ؟

— نعم بكل يقين .

— على أى أساس تبنين يقين خلاصك . . هل على أساس شعورك بالفرح ، أو على أساس كلمة الرب لك ؟

— إننى أبنى يقين خلاصى على أساس كلمة الرب لى . . إنه قال « مغفورة لك خطاياك . . إيمانك قد خلصك . اذهبى بسلام » لو ٧ : ٤٨ و ٥٩ وقد تجددت فى لحظة فى طرفة عين ... وأنا أثق تماماً فى كلمته . وهذه الثقة هى سر فرحى وسلامى ويقين خلاصى .

فلا تعتمد على شعورك يا صديقى القارىء ، بل ثق تماما فى صدق كلمة الله .

ثالثا — اليقين على أساس شهادة الروح القدس :

يقرر بولس الرسول هذه الحقيقة فى رسالته إلى أهل رومية

قائلا « ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له [أى ليس للمسيح] . . وإن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم .. لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله . إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب

الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله »

رو ٨ : ٩ و ١١ و ١٤ - ١٦

ويقرر ذات الحقيقة يوحنا الرسول قائلا « وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذى أعطانا » ١ يو ٣ : ١٤ « بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا أنه قد أعطانا من روحه » ١ يو ٤ : ١٣

فبمجرد أن يولد الإنسان ميلاداً ثانياً يسكن الروح القدس فيه ويشهد لروحه أنه صار ابناً لله « أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم » ١ كو ٣ : ١٦

وهناك محك كتابى يريك إن كان الروح القدس يسكن فيك أم لا، تجده فى رسالة غلاطية الأصحاح الخامس إذ يقول بولس الرسول « وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف » غلا ٥ : ٢٢ فإذا كان فيك ثمر الروح فلاشك أن الروح يسكن فيك ، فهل لك محبة وفرح وسلام مع الله ؟ وهل لك طول أناة ولطف وصلاح مع الناس ؟ وهل لك إيمان ووداعة وتعفف فى حياتك الشخصية ؟ إذن فروح الله فى قلبك يشهد لروحك أنك أحد أولاد الله . إنك لا تستطيع أن تحصل على ثمر الروح

بدون الروح القدس ، كما أنك لا تستطيع الحصول على ثمرة البرتقال ما لم تكن هناك شجرة برتقال ، وقد قال لنا ربنا المبارك « من ثمارهم تعرفونهم » مت ٧ : ٢٠ ومن الثمر تعرف الشجرة .

فهل يسكن فيك روح الله ؟ وهل يشهد لروحك ؟ قد تقوم بكل الفرائض الكنسية ، ولكن ما لم تولد من الروح ويسكن الروح فى قلبك فأنت هالك ومسكين .

أذكر كلمات بولس الرسول « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله » رو ٨ : ١٤ فكما يقود الضابط الجندى ، وكما يقود الأستاذ الطالب ، وكما يقود الدليل السائح كذلك الروح القدس يقود كل مؤمن حقيقى قيادة صريحة واضحة .

رابعاً : *اليقين على أساس الحياة المتجددة* : يقول بولس الرسول « إذاً إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت هو ذا الكل قد صار جديداً » ٢ كو ٥:١٧ ويقول يوحنا الرسول « أيها الأولاد لا يضلكم أحد . من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار . من يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطىء . لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال إبليس. كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله » ١ يو ٣ : ٧ - ٩

إن الحياة الجديدة التى زرعها الله فيك بالإيمان بالمسيح يسوع ، هى دليل قاطع على نوالك خلاص الله ..فقبل التجديد لم تكن تحب الكتاب المقدس ، ولم تكن تدرسه باهتمام ، أما بعد التجديد فإنك

تحب الكتاب المقدس ، وتتلذذ بدراسته ، وتبحث فيه عن الحق لتتبعه ، وتطيع كلمة الله وحدها .

قبل التجديد كنت تعتقد أنك لا تستطيع أن تعيش بدون التمتع ببعض الملذات العالمية ، كانت لذتك فى الملاهى ، وسماع الأغانى المبتذلة ، وقراءة الروايات العاطلة ، أما بعد التجديد فيالغرابة ما حدث لك ، لقد تغيرت عواطفك ورغباتك فصرت تكره ما كنت تحب ، وتحب ما كنت تكره .. لقد صارت لذتك فى الترنيم ، واجتماعات الصلاة ، وخدمة الرب .

قبل التجديد كان أصدقاؤك شرزمة من الأشخاص العالميين ، السكيرين ، الكاذبين ، النجسين ، كان بيتك مكاناً مختاراً للرقص وحفلات الكوكتيل ، أما بعد التجديد فصار الأمر متغيراً تماماً إذ أصبح شعارك « فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب » مز ١٢٢ : ١

قبل التجديد كنت تعتمد على ديانة وراثية لا حياة فيها، وتطيع وصايا وتقاليد وتعاليم الناس ، أما بعد التجديد فإن شعارك هو كلمات صاحب المزمور «تفكرت فى طرقى ورددت قدمى إلى شهاداتك أسرعت ولم أتوان لحفظ وصاياك » مز ١١٩ : ٥٨

إن الحياة المتجددة هى أساس متين ليقين الخلاص .

ذكر القس جون ماكبيث أحد الواعظين فى مؤتمر كزك اختباره قال « إننى سمعت واعظاً وأنا فى الثانية عشرة من عمرى يقول : إنه إذا لم تتذكر السنة والشهر واليوم والساعة التى تجددت فيها فأنت لم تتجدد بعد .

امتلأت بالشك من جهة تجديدى لأنى لم أكن أذكر يوم تجديدى بالتحديد، ولكن الرب قادنى إلى اجتماع «تشارلس هادون سبرجن» ذلك الراعى المعمدانى العظيم ، وسمعت أمير الواعظين يقول : إن البعض يظنون أنه يجب أن يعرف الشخص المتجدد اليوم والسنة والساعة التى ولد فيها ولادة ثانية وإلا يحسب أنه لم يحصل على هذه البركة ، وأنا أسألكم يا من تسمعوننى اليوم : هل كل واحد منكم يذكر تاريخ ميلاده الجسدى؟ من لا يتذكر تاريخ ميلاده فليتفضل برفع يده.. ورفع الكثيرون أيديهم واستطرد الواعظ العظيم قائلا: إذاً أنتم لم تولدوا بالجسد على الأرض لأنكم لا تذكرون متى ولدتم! فهل هذا معقول ؟ .. إنه ليس معقولا .. والدليل على حقيقة ميلادكم أنكم حاصلون على الحياة،وأنكم هنا فى هذا الاجتماع اليوم، وتابع اسبرجن حديثه فقال « إن كثيرين من الذين نشأوا فى عائلات مسيحية لا يعرفون متى ولدوا الميلاد الثانى ، لكن حياتهم المتجددة ومحبتهم للرب أعظم برهان على أنهم ولدوا من الله . . . ويقول «جون ماكيث» عندما سمعت كلمات سبرجن خرجت وأنا أحمد الله وأشكره ، لأنى وإن كنت لا أذكر يوم ميلادى الثانى ولكننى كنت واثقاً من حياتى المتجددة، وبهذا تيقنت من نوالى خلاص الله»

فهل أنت متيقن من تجديدك يا قارئى الحبيب ؟

حدث أن رجلا وثنياً فى بلاد الصين مرض فذهب إلى مدينة «اموى» ليعالج فى المستشفى على يد طبيب أمريكى ، وفى مدة إقامته هناك كان يسمع التبشير بالإنجيل كل يوم، وقد عملت فيه كلمة الرب حتى آمن بالرب يسوع المسيح ، واقتنع المسيحيون بأنه لم

يشف من مرضه الجسدى فقط بل من مرضه الروحى أيضاً. وحينما رجع إلى بيته تعجبت امرأته الوثنية من التغيير الذى حدث له ، واعتقدت بأن عقله قد اختل وقالت لجيرانها أن زوجها مع أنه شفى من مرض جسده فقد خسر عقله ، وأن هناك ثلاثة براهين على جنونه :

البرهان الاول : هو أنه قبل ذهابه إلى المستشفى كان يضربها ويشتمها ويعتدى عليها ويصيح بأعلى صوته ، ولكنه الآن كفّ عن ذلك وصار يفرح بكل شيء تعمله ، وهو لا يشتمها البتة ولا يضربها بل يعاملها باللطف والحنو والمحبة . . . لقد اختفت كل تصرفاته القديمة ، ولسبب هذا التغيير الكلى فيه اعتقدت أنه قد اختل عقله .

البرهان الثانى : هو أنه لم يكن محباً لدرس الكتب قبل ذهابه للمستشفى ، ولكنه صار بعد رجوعه يحب مطالعة الكتب على انفراد ، ويصرف وقتاً خاصاً طويلا كل يوم فى قراءة كتاب واحد يسميه الكتاب المقدس ، وبعد ذلك يرتل بصوت منخفض ، ثم يركع على الأرض ويتكلم مع شخص لا أقدر أن أراه ، وهكذا تحققت أنه قد جن .

البرهان الثالث : وهو البرهان القاطع الأعظم عندها ، هو أنها رأته بعد رجوعه إلى بيته ، جائلا فى البيت ومفتشاً على جميع الآلهة والأصنام التى كان يتعبد لها ، وقد جمعها ووضعها كلها فى كيس ولما رأته يفعل ذلك فرحت جداً لأنها ظنت أنه سيأخذها

ليطليها بالذهب علامة شكره لها لأجل شفائه من مرضه ، ولكنها تعجبت جداً عندما رأته يضع كيس الأصنام على كتفه وينزل به إلى قاربه فى النهر ، ويبتعد عن الشاطىء إلى العمق ثم يرمى بالكيس والأصنام فى النهر ، وهكذا غرقت ولم تظهر فيما بعد . . وقد قالت السيدة لجيرانها ، كيف يمكن لإنسان أن يعامل آلهته هكذا إن لم يكن مجنوناً وكيف يمكن أن انساناً يعبد أصناماً زماناً طويلا ثم يرميها فى النهر إن لم يكن قد فقد عقله .

فياصديقى القارىء الحبيب ، هل تغيرت حياتك عن ذى قبل ، وألقيت بأصنامك بعيداً عنك ؟ إن يوحنا الرسول يختم رسالته بالكلمات « أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام » ١يو٥:٢١

فهل حياتك متجددة ، لقد كتب الرسول بولس للكنيسة فى كورنثوس يقول « جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان . امتحنوا أنفسكم . أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم إن لم تكونوا مرفوضين » ٢ كو ١٣ : ٥

فامتحن ديانتك ، ضعها على محك التجربة ، فهذا هو الطريق الذى به تتيقن خلاصك . . هل تستطيع أن تغفر الإساءة ، أو تتحمل الإهانة كما تحملها المسيح ؟ هل يمكن أن تلام لأنك عملت الخير ولا تتذمر ؟ هل يمكن أن تدان ظلماً ، ويساء فهمك وتحتفظ مع ذلك بروح كروح المسيح ؟

إن كانت حياتك كذلك فقد صرت خليقة جديدة فى المسيح وينبغى ان تتيقن خلاصك الأبدى .

خامساً — اليقين على أساس المحبة للإخوة : سجل يوحنا البشير فى بشارته ما عمله المسيح لأجلنا على الصليب ، وسجل فى رسالته ما يعمله المسيح لنا فى السماء كشفيع ، وتتميز رسالة يوحنا باليقين ، وقد قمت مؤخراً بدراسة هذه الرسالة الثمينة ووجدت أنها تحوى كلمة « نعرف ونعلم وتعلمون » حوالى عشرين مرة فى أصحاحاتها الخمسة .

ففى الأصحاح الثالث يقول « وتعلمون أن ذاك أظهر لكى يرفع خطايانا وليس فيه خطية » ١ يو ٣ : ٥ إذن فليس ما عملته أنا هو الذى يخلصنى، بل ما عمله هو، وابن الله المبارك رفع خطايانا كما قال عنه يوحنا المعمدان « هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » يو ١ : ٢٩

وفى العدد التاسع عشر من ذات الأصحاح يقول « وبهذا نعرف أننا من الحق ونسكن قلوبنا قدامه » ١ يو ٣ : ١٩ نحن نعرف أننا من الحق ، وإذا كان الحق يحررنا ، فنحن أحرار فعلا « فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » يو ٨ : ٣٦

ولكننا نأتى إلى قلب الأصحاح الثالث حين نصل إلى الكلمات **« نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت الى الحياة لأننا نحب الاخوة »** ١ يو ٣ : ١٤

إن الشخص غير المتجدد لا يحب المتجددين الأتقياء ، ولا يهتم أن يكون فى صحبتهم « من لا يحب أخاه يبقى فى الموت » ١يو ٣ : ١٤ وما دليل محبتنا للإخوة ؟ يقول يوحنا الرسول الحبيب :

« بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغى لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق . وبهذا نعرف أننا من الحق ونسكن قلوبنا قدامه » ١ يو ٣ : ١٦ - ١٩

لقد سرى تيار الحب الأخوى فى قلوب أعضاء الكنيسة المحلية فى أورشليم حتى اننا نقرأ عنهم الكلمات « وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شىء مشتركا . وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم . إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل أحد كما يكون له احتياج » أعمال ٤ : ٣٢ - ٣٥

فهل رأيت ماذا تستطيع المحبة الأخوية أن تفعل ؟

تعال معى لنسمع أغنية المحبة ينشدها بولس الرسول فى الأصحاح الثالث عشر من رسالته إلى الكنيسة فى كورنثوس فيقول « المحبة تتأنى وترفق. المحبة لا تحسد. المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق وتحتمل كل شىء وتصدق كل شىء وترجو كل شىء وتصبر على كل شىء ، المحبة لا تسقط أبداً » ١ كو ١٣ : ٤ - ٨ فهل تحب الإخوة ؟ إذن اهتف مع يوحنا فى يقين كامل قائلا

« نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الاخوة ». واعلم أنه فى المجد الأسنى ، ستبقى المحبة فى عظمتها الرائعة سائدة فى ظلال الأبدية السعيدة .

والآن ينبغى أن نختتم حديثنا بكلمة عن بركات يقين الخلاص

وأول بركة من بركات اليقين هى بركة الفرح : إن المؤمن لا يمكن أن يفرح فرحاً حقيقياً فى الرب إلا إذا تيقن خلاصه الأبدى ، والفرح فى ذاته قوة للشهادة وللخدمة ولهذا قال نحميا للعاملين معه « لا تحزنوا لأن فرح الرب هو قوتكم » نحميا ٨ : ١٠

البركة الثانية من بركات اليقين هى بركة خوف الله : وهذا ما يقرره صاحب المزمور قائلا « لأن عندك المغفرة لكى يخاف منك » مز ١٣٠ : ٤ فعندما نتيقن خلاصنا سنخاف الرب أكثر من الماضى » .

عاش فى بلد من بلاد الغرب أخ مؤمن كان مخلصاً جداً فى حداثة تجديده وإيمانه بالرب ، ولكنه ذات يوم ارتكب خطية فقال له الشيطان « لقد هلكت . وانقطعت صلتك بالرب » وصدق الأخ كذبة الشيطان ، واستمر يبتعد عن الله أكثر فأكثر ، ولكن أحد خدام الرب الأمناء تقابل معه وأراه من كلمة الله أن خلاصه خلاص أبدى ، وأن صلته بالله كابن لا يمكن أن تنفصم ، فقام واعترف بخطاياه ، وعاد إلى شركته مع الآب من جديد . إن جهله بحقيقة ثبات المخلصين الأبدى قد منعه لمدة من الزمن من العودة إلى الرب الذى أحب خاصته الذين فى العالم أحبهم إلى المنتهى .

البركة الثالثة من بركات اليقين هى بركة التقدم الى الكمال : يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين « لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح لنتقدم إلى الكمال » عب ٦ : ١ وما هو كلام بداءة المسيح ؟ إنه الكلام المختص بالخلاص وبكل ما يتعلق به ، فإذا لم يتيقن المؤمن خلاصه فكيف يتقدم فى حياة التكريس والخدمة والحياة المقدسة ؟ وإذا لم يتيقن المؤمن أن له حياة أبدية فكيف ينمو بغير هذا اليقين ؟ إن سر تأخر نمو الكثيرين من أولاد الله وبناته يعود إلى جهلهم بحقيقة يقين الخلاص الأبدى .

البركة الرابعة من بركات اليقين هى بركة الشهادة المؤثرة: لقد كانت شهادة الرسل شهادة قوية لأنها كانت مبنية على اليقين الكامل .

اسمع يوحنا الرسول وهو يقول « الذى كان من البدء الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة . فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأظهرت لنا . الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح . ونكتب إليكم هذا لكى يكون فرحكم كاملا » ١ يو ١ : ١ — ٣

واصغ إلى كلمات بولس الرسول وهو يكتب لكنيسة تسالونيكى قائلا « عالمين أيها الإخوة . . أن انجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط بل بالقوة أيضاً وبالروح القدس وبيقين شديد » ١ تس ١ : ٥

إن المؤمن الذى لم يتيقن خلاصه لا يستطيع أن يبشر انساناً غير متجدد . لكن حين يمتلىء المؤمن بيقين الخلاص ينجح تماماً فى خدمته. بعد أن خلص الرب مجنون كورة الجدريين من الشياطين التى كانت تسكنه قال له . « اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك » مر ٥ : ١٩ فما لم يكن الرجل قد تجدد ، وما لم يكن الرب قد عمل فيه عملا عظيما ، فأى شهادة كان يمكنه أن يقدمها لبيته وأهله ؟

حدثنا الواعظ الأمريكى Paul Levin قال : « كنت أعظ فى معسكر للشباب ، وذات ليلة تقدم كثيرون ليقبلوا المسيح علانية ، وبين الذين تقدموا رأيت سيدة شابة تتقدم وتركع معهم طالبة الخلاص ، مع أننى كنت أعتقد أنها متجددة من سنين . . وفجأة قامت من ركوعها وطلبت أن نسمح لها بالكلام . . أوقفنا الترنيم وجاءت هى إلى الميكروفون وقالت « أنا زوجة أحد خدام الرب ، وأنا متزوجة منذ أربع سنوات ، وزوجى هنا بين الحاضرين . . وفى صباح اليوم الماضى حين كان الواعظ يتحدث عن « كيف تستطيع أن تتأكد تماماً من نوالك الخلاص ؟ » اكتشفت إننى لم أنل الخلاص أبداً .

وتستطيع أن تتصور تأثير كلام هذه السيدة على الحاضرين . . تركزت العيون فى وجهها ، وأصغت الآذان لصوتها ، واستطردت السيدة تقول : « لقد عزمت الليلة أن أكون مع أولئك الذين تقدموا لقبول الرب يسوع ، وقد قبلت الرب الآن فقط ، وهذه

أول مرة فى حياتى أعترف فيها بالرب يسوع المسيح علانية كمخلصى وربى »

وبينما كانت تتكلم كانت تبتسم من خلال دموعها ، ووجهها يلمع بنور الفرح والسلام واليقين لأنها كانت قد نالت خلاص الله .

لقد كانت هذه السيدة زوجة خادم من خدام الرب ، ولكنها لم تستطع أن تشهد للرب شهادة مباركة إلا بعد أن تيقنت من خلاصها .

فهل تفتح قلبك اليوم لمخلصك ، وأنت تقرأ هذه السطور وتستمتع بيقين الخلاص فتهتف مردداً مع بولس « لأننى عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم » ٢ تى ١ : ١٢

لقد قال الرب يسوع لليهود « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية » يو ٥:٣٩ ويكتب Paul J. Levin الواعظ الأمريكى تعليقاً على هذه الآية قائلا ان اليهود ظنوا قائلين « إن لنا الإله الحق ، ولنا الكتاب الحق ، الكتاب المقدس . ولذا فنحن على حق ، ولنا حياة أبدية ، انهم لم يكونوا ملحدين ، ولا وثنيين ، وقد ظنوا أن لهم حياة أبدية لأنهم يؤمنون بالله ويمتلكون الكتاب المقدس .

ولكن ربنا المبارك قال لهم « أنتم تظنون أن لكم حياة أبدية » أو بعبارة أخرى « أنتم ليس لكم حياة أبدية حتى مع امتلاككم للكتاب المقدس » ولكن لماذا قال لهم هذا ؟ لقد قال

لهم هذا لسبب هام ضعه فى فكرك جيداً وهو: « إن الحياة الأبدية ليست فى كتاب ولكنها فى شخص ، وهذا الشخص هو الرب يسوع نفسه » .

إن الحياة الأبدية ليست فى الكتاب المقدس، ولكن الكتاب المقدس يخبرك أين تجدها وأين مكانها ؟ وهذا ما يقوله الكتاب المقدس « وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هى فى ابنه » ١ يو ٥ : ١١

هؤلاء الناس كان الكتاب المقدس فى أيديهم ولكنه لم يكن فى قلوبهم ، وهذا هو سر رفضهم للرب يسوع ، لأنهم لو آمنوا بكتابهم المقدس لقبلوا الرب يسوع لأن كتابهم يتكلم عنه . ولهذا قال لهم الرب « وليست لكم كلمته ثابتة فيكم . لأن الذى أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به » يو ٥ : ٣٨ ومرة ثانية قال لهم « لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى» يو ٥ : ٤٦

إن الحياة الأبدية التى ظنوا أنها لهم لأن لهم الكتب المقدسة ، لم تكن توجد إلا فى شخص واحد هو الرب يسوع المسيح ، ولو آمنوا بكتبهم المقدسة لآمنوا بالرب يسوع الذى تشهد عنه هذه الكتب ، ولكن لأنهم رفضوه ، وأداروا ظهورهم له لم يكن لهم حياة أبدية .

فهل أنت متيقن أن لك حياة أبدية فى المسيح يسوع ربنا ، أو تظن على أساس تدين سطحى أن لك حياة أبدية ؟ ما أعظم الفرق بين « الظن » و « اليقين » .

البركة الأخيرة بركة سرور قلب الرب : إن المؤمن المتيقن خلاصه يسر قلب الرب، لأنه وثق على أساس كلمته الصادقة أنه غفر خطاياه ، وجدد قلبه ، وأعطاه من روحه .

أما المؤمن الذى يخضع للشك ، فهو يقيناً يحزن قلب فاديه الذى مات لأجله على الصليب ، وتتشوه خدمته ، ويتوقف نموه ، وتخنق شهادته ، ويحرم من سلام الله الذى يفوق كل عقل ، وتصير اختباراته المسيحية ثقلا ، ويصير قليل النفع لعمل الله .

فهل تطرح عنك اليوم كل عوامل الشك ، وتأتى واثقاً تماماً فى فاديك ، مرتمياً عند صليب مخلصك وتهتف مردداً مع بولس « فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله » ١ كو ١ : ١٨

لقد فصل الصليب بين « المخلصين » و « الهالكين » فمن أى الفريقين أنت ؟

هل أنت ممتلىء بفرح اليقين ؟ إذن فاهتف مرنماً

يسوع ربى قد حبانى ذا السلام التمام
فاض سرور مالئاً قلبى إلى التمام
قلبى دوماً يفيض سلام ولو هاجت جيوش الظلام
فهو لى يسوع لى

الفصل الرابع

الارتـــداد

ما هي أسباب ارتداد المؤمن ، وما هي حالة المؤمن المرتد ؟ وكيف يعالج الله ارتداد المرتدين ؟ وهل يفقد المؤمن خلاصه إذا ارتد ؟

لكي نجيب على هذه الأسئلة يجدر بنا أولا أن نضع تعريفاً واضحاً لمعنى الارتداد ، فالشخص المرتد هو الشخص المولود من الله الذي يسقط في الخطية، وبناء على هذا فإن الخاطيء الذي أصلح حياته إصلاحاً ظاهرياً دون تجديد حقيقي ، ثم عاد بعد فترة من الزمن إلى الخطية لا يعتبر مرتداً ، إذ المرتد هو الشخص الذي ولد من الله حقاً ثم سقط في الخطية .

وليس من الضروري أن يرتكب المؤمن خطايا علنية فظيعة كالزنا ، والقتل ، والسرقة ليكون مرتداً ، إذ يكفي جداً أن يترك محبته الأولى للرب ، وأن يصبح فاتراً في علاقته به ، وعندئذ يكون الارتداد في قلبه حتى ولو نجح تحت ستار التقوى الظاهرية في إخفائه وعن مثل هذا الشخص يقول صاحب الأمثال « المرتد في القلب يشبع من طرقه » أم ١٤ : ١٤ . والمؤمن الذي يرتد في قلبه يتدنس ضميره ، ويفقد الحق سلطانه على قلبه ، وتنحط شهادته ، وعندئذ يسير في طرقه التي يختارها لنفسه ، كما اختار لوط لنفسه ويشبع من الآلام التي لا بد أن تلحق به نتيجة ارتداده .

يهوذا لم يرتد :

إننا لا يمكن أن نقول عن يهوذا إنه ارتد ، لأن يهوذا لم يولد من الله إطلاقا .

فيهوذا لم يؤمن بالرب يسوع المسيح : وهذا ما تؤكده كلمات انجيل يوحنا « ولكن منكم قوم لا يؤمنون . لأن يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذى يسلمه » يو ٦ : ٦٤

ويهوذا كان شيطاناً : وهذا ما قاله الرب لتلاميذه « أليس أنى أنا اخترتكم الإثنى عشر وواحد منكم شيطان » يو ٦ : ٧٠

ويهوذا كان سارقا : وهذا ما يقرره البشير يوحنا قائلا « فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الإسخريوطى المزمع أن يسلمه لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاث مئة دينار ويعط للفقراء . قال هذا ليس لأنه كان يبالى بالفقراء بل لأنه كان سارقاً وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقى فيه » يو ١٢ : ٥ و ٦

لقد عاش يهوذا مع الرب عدة سنوات ، وسمع كلامه الجميل عن نعمة الله المخلصة ، ولكنه لم يتأثر ، ولم يقب ، ولم يؤمن ، ولم يولد من الله ، وأخيراً ارتكب خطيته العظمى إذ خان السيد له المجد وباعه بثلاثين من الفضة ثم مضى وخنق نفسه ، وتمت فيه كلمات المزمور « أحب اللعنة فأتته ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه » مز ١٠٩ : ١٧

الاصحاح السادس من الرسالة الى العبرانيين

هنا قد يسأل سائل : ألا يمكن أن يرتد المؤمن الحقيقي ويهلك؟ أو ليست الآيات المذكورة في الرسالة إلى العبرانيين تؤكد هذا ؟

تعال معي لنقرأ هذه الآيات « لأن الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس . وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه » عب ٦ : ٤ - ٦

وقبل أن نشرح هذه الآيات نقول: إن دارس الكتاب المقدس يعلم يقيناً ، أنه إذا سقط مؤمن متجدد في الخطية ، ورجع إلى الرب معترفاً بها فإن الرب يغفرها له ويطهره من كل إثم ، وهذا ما يقوله يوحنا الرسول « إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم » ١ يو ١ : ٩ ، ولكننا نقرأ في آيات الأصحاح السادس من الرسالة إلى العبرانيين عن أناس «سقطوا ولا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه» فهل هؤلاء الأشخاص كانوا مولودين من الله ثم سقطوا وفقدوا خلاصهم الأبدي؟ وهل يناقض الكتاب المقدس نفسه فيقول إن المؤمن إذا سقط في الخطية وعاد معترفاً بها فإن الله الأمين العادل يغفرها له ويطهره من كل إثم ، ثم يقول هنا عن أناس سقطوا ولا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة ؟! أم أن حديث كاتب العبرانيين هو عن أناس سمعوا عن المسيح . واعترفوا به اعترافاً ظاهرياً ، ثم ارتكبوا الخطية التي لا غفران لها ، وهي خطية التجديف على الروح القدس؟

إن دراسة مدققة للأصحاحين الخامس والسادس من الرسالة إلى العبرانيين ترينا أن أولئك الذين يوجه لهم الكاتب الحديث ، كانوا متباطئي المسامع ، وأنهم بعد أن تركوا ظلال ورموز اليهودية صاروا فى خطر الرجوع اليها، أو بمعنى أدق صاروا فى خطر انكار قيمة ذبيحة المسيح الكاملة والعودة إلى الذبائح الحيوانية التى لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية .

وينبغى أن لا يغيب عن ذهننا أن كل العبرانيين الذين اعترفوا بإيمانهم بالمسيح المصلوب ـ حتى ولو لم يكونوا مولودين من الله ـ قد اشتركوا بنصيب ما فى عار المسيح المرفوض من الأمة الاسرائيلية فإذا كان أحد هؤلاء المعترفين يرجع عن ما اعترف به ، ويرفض ذبيحة المسيح الكفارية ويعود إلى تقديم الذبائح الرمزية الأولى ، فهو بهذا يرفض توسلات الروح القدس بعناد واصرار ، ويعلن أنه لم يخلص بدم الصليب ، وكأنه بإرادته يصلب المسيح ثانية ويشهر به .

والآن لنفحص حالة أولئك الذين ذكرهم كاتب الرسالة إلى العبرانيين وسنجد :

[١] إنهم « استنيروا مرة » أى انفتحت أعينهم نتيجة التعليم الصحيح لبعض الحقائق الثمينة بخصوص الرب وعمله الكامل على الصليب ، وهم فى هذا مثل بلعام الذى قيل عنه « الرجل المفتوح العينين ... الذى يرى رؤيا القدير » عد ٢٤ : ١٥و١٦ ، والاستنارة هى صفة المؤمن المولود من الله ، وهى كذلك صفة الشخص غير المتجدد والذى يعرف عقلياً حق الانجيل الثمين .

[٢] إنهم « ذاقوا الموهبة السماوية » أى أنهم اختبروا قوة الروح القدس العاملة فى الرسل فى اعلان الحق الخاص بابن الله ، وكذلك « ذاقوا كلمة الله الصالحة » وهذا يضع عليهم مسئولية كبرى تجاه كلمة الله التى وصلت اليهم فتذوقوا حلاوتها ، وأدركوا معناها ، وكان يجب أن تتأصل فيهم لتجددهم ، ولكنهم أصبحوا مثل أولئك الذين شبههم الرب بالأرض المحجرة إذ قال « والمزروع على الأماكن المحجرة هو الذى يسمع الكلمة وحالا يقبلها بفرح . ولكن ليس له أصل فى ذاته بل هو إلى حين . فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر » مت ١٣ : ٢٠ و ٢١ فهؤلاء لم يكن لهم أصل فى ذواتهم ، ولم تتعمق كلمة الله فى قلوبهم لتثمر ، بدليل أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يشبههم بأرض قد شربت المطر الآتى عليها مراراً كثيرة .. ولكنها أخرجت شوكا وحسكا بدلا من العشب الصالح ، ونحن نعلم من مثل الزارع أن الثمر هو دليل الميلاد الثانى ، وأن الأرض التى لم تثمر لم تتأصل فيها فى الواقع كلمة الله، وعلى هذا فهى تشير إلى الأشخاص الذين لم يولدوا من الله .

[٣] إنهم صاروا شركاء الروح القدس، وهذا لا يعنى أنهم ولدوا الميلاد الثانى بل يعنى أنهم شاركوا الروح القدس فى عمله لتوصيل الحق للناس ، وكم من أناس غير متجددين عملوا على توصيل الحق للناس ، ولكنهم هلكوا فى النهاية لأنهم لم يقبلوا المسيح بحق فى قلوبهم وقد قال عنهم الرب نفسه « ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات . كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا

شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » مت ٧ : ٢١ - ٢٣ والقارىء الفطن يلاحظ عبارة « إنى لم أعرفكم قط » فهؤلاء الناس لم يخلصوا ثم هلكوا .. كلا ولكن الرب يقول لهم بوضوح : إنه لم يعرفهم قط فى يوم من أيام حياتهم مع أنهم صاروا شركاء الروح القدس فى عمله لخلاص الناس كما كان يهوذا التلميذ الخائن ينادى بالخلاص وهو نفسه لم يكن متجدداً .

[٤] إنهم ذاقوا قوات الدهر الآتى : أى القوات المعجزية التى رأوا صورة منها فيما فعله الرسل إذ قيل عنهم « شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته » عب ٢ : ٤ وبها تثبت لهم خبر الخلاص العظيم ، وهى ذات القوات التى ستكون اختباراً عادياً فى ملك المسيح الألفى السعيد .

وعلى هذا فنحن لا نقرأ عن هؤلاء الأشخاص أنهم «ولدوا ثانية» أو « تطهروا بالدم الثمين » أو « كان لهم الإيمان الحقيقى بالرب يسوع المسيح» ولكننا فقط نقرأ عنهم أنهم «استنيروا» و«ذاقوا» و « صاروا شركاء الروح القدس » ، ثم سقطوا فى خطية لا يمكن غفرانها هى خطية التجديف على الروح القدس ، أى عناد القلب عن معرفة وإصرار أمام توسلات روح الله للإيمان بالمسيح كمخلص شخصى ، ولذا سقطوا فى الخطية التى لا تغفر وأصبح من غير الممكن تجديدهم للتوبة ، ويقيناً أن خطية التجديف على الروح القدس لا يمكن أن يرتكبها شخص مولود من الله ومختوم بالروح القدس

أفسس ١ : ١٣ ، لأن الروح القدس يسكن فى قلبه ولذا يستحيل عليه أن يجدف عليه .

وعلى هذا فإن هذا الجزء من كلمة الله لا يتحدث عن سقوط مؤمن مولود من الله وهلاكه هلاكاً أبدياً ، بل عن سقوط شخص سمع عن الرب ، واعترف به اعترافاً ظاهرياً فى الخطية التى لا تغفر [اقرأ مت ١٢ : ٣١ و ٣٢] .

والآن لنتقدم قليلا لكى ندرس موضوع الارتداد درساً مفصلا وأول ما يجب أن ندرسه هو :

أسباب ارتداد المؤمن :

وهناك عدة أسباب تعمل على ارتداد المؤمن إذا لم يتحفظ منها نذكرها فيما يلى من حديث :

السبب الأول هو وجود الطبيعة الآدمية العتيقة : قبل أن يتجدد الإنسان تكون فيه طبيعة واحدة هى الطبيعة الآدمية الساقطة التى يسميها الكتاب المقدس « الإنسان العتيق » رو ٦ : ٦ و « الجسد » رو ٨ : ٦ ، ولكنه بعد أن يولد من الله تخلق فيه طبيعة جديدة تكره الخطية يسميها الكتاب المقدس « الإنسان الجديد » أفسس ٤ : ٢٤ ، مع بقاء الطبيعة العتيقة فيه ، ومن هنا ينشأ الصراع الذى عبر عنه بولس الرسول بالقول « لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون » غلا ٥ : ١٧ ولاحظ أن الجسد

« يشتهى » أما الروح فهو لا يشتهى ولكنه « ضد الجسد » فى شهواته وأمياله الشريرة ؟

وهذه الطبيعة الآدمية العتيقة الموجودة فى المؤمن هى سبب ارتداده ، إذا لم يعط الروح القدس فرصة لإماتة أعمالها .

سل داود الملك ، ومرنم إسرائيل الحلو ، ومسيح إله يعقوب، وكاتب الكثير من المزامير عن سبب سقوطه وارتداده يقول لك «هأنذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى » مز٥١ : ٥ فالإنسان العتيق الذى ورثه عن آدم الساقط بأمياله الفاسدة كان سر سقوطه فى الخطية . وكما أسقط الإنسان العتيق داود ، كذلك أسقط نوح من قبله فسكر وتعرى داخل خبائه تك ٩ : ٢١ ، وأسقط شمشون ، وأسقط لوط ، وأسقط إيليا ، وأسقط بطرس .

وهذا ذات ما يقوله بولس الرسول فى الأصحاح السابع من رسالته إلى القديسين فى رومية « فإننا نعلم أن الناموس روحى وأما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية . لأنى لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل . فإن كنت أفعل ما لست أريده فانى أصادق الناموس أنه حسن . فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فىّ . فانى أعلم أنه ليس ساكن فىّ أى فى جسدى شىء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندى وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل . فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فىّ . إذاً أجد الناموس لى حينما أريد أن أفعل الحسنى إن الشر حاضر عندى . فإنى أسر

بناموس الله بحسب الإنسان الباطن . ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي . ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت . أشكر الله بيسوع المسيح ربنا إذاً أنا نفسي بذهني اخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية ، رو ٧ : ١٤ – ٢٥

فبولس يقرر وجود الطبيعة العتيقة فيه ، ويسميها « الخطية » وهو في هذا الأصحاح يرسم صورة للمسيحي الجسدي ، ففي عشرة أعداد فقط يستخدم لفظ « أنا » خمساً وعشرين مرة ، بينما لا يذكر الروح القدس ولا مرة واحدة ، أما في الأصحاح الثامن فلا يستخدم لفظ « أنا » إلا مرتين فقط حيث لزم استخدامها ، بينما ذكر الروح القدس ست عشرة مرة ، وهكذا يأتي بالمؤمنين إلى سر النصرة قائلا « ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون ،رو ٨:١٣ فالجسد موجود في المؤمن ولكن يمكن إماتة أعماله بالروح القدس، وعدم الانتباه إلى هذا الحق قد تسبب في فشل الكثيرين . فليت كل مؤمن يميت بالروح القدس أعمال الجسد الساكن فيه .

إن الشيطان يهاجم المؤمن في أقوى نقطة في حياته ، فابراهيم رجل الإيمان العظيم سقط في خطية الكذب إذ قال لسارة زوجته « قولي إنك أختي ، ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك » تك ١٢ : ١٣

وموسى الحليم الذي قيل عنه « وأما الرجل موسى فكان حليما جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض» عدد١٢:٣ سقط في خطيه الغضب إذ ضرب الصخرة مرتين بدلا من أن يكلمها كما أمره الرب عدد ٢٠: ١٠ – ١٢

وإيليا النبي الشجاع امتلأ خوفاً وهرب من تهديدات امرأة ١ ملوك ١٩ : ١ - ٤

فينبغي أن تسهر على نقطة القوة في حياتك ، واحذر أن تعتمد على ذاتك ، واذكر أن الطبيعة العتيقة تميل إلى الارتداد عن الرب كما يقول هوشع النبي « وشعبي جانحون إلى الارتداد عني» هو ١١ : ٧ فاعط للروح القدس السيادة الدائمة عليها ليميت أعمالها ، واذكر تحذير بولس الرسول القائل « إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط » ١ كو ١٠ : ١٢ .

السبب الثاني هو النوم عن الصلاة : إننا نجد في قصة سقوط بطرس كل أسباب الارتداد فهو حين قال للرب « إن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً » مت ٢٦ : ٣٣ ، كان أول سبب لسقوطه هو ثقته في ذاته ، ثم جاء السبب الثاني وهو نومه عن الصلاة هذا النوم الذي وبخه الرب في محبته عليه قائلا « يا سمعان أنت نائم . أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة . اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة » مر ١٤ : ٣٧ و ٣٨ والمؤمن الذي يهمل مخدعه ، وينسى فرصة الصلاة يتعرض للإرتداد والسقوط ، بحق قال أحد خدام الرب : « إذا ارتفع مقياس الصلاة عندي ارتفعت حياتي ، وإذا انخفض مقياس الصلاة عندي انخفضت حياتي » .

السبب الثالث هو استخدام السلاح الجسدي : يقول بولس الرسول « إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله

على هدم حصون . هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح «٢ كو ١٠ : ٤ و ٥ ولكن بطرس نسى هذا ، واستخدم السلاح الجسدى إذ نقرأ عنه «ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى » يو ١٨ : ١٠ « فأجاب يسوع وقال دعوا إلى هذا ولمس أذنه وأبرأها » لو ٢٢ : ٥١ ثم أعطى لبطرس درساً هاماً قائلا « رد سيفك إلى مكانه . لأن الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون » مت ٢٦ : ٥٢

فلا تستخدم السلاح الجسدى ، فى حربك ضد « الذات » و « العالم » و « الشيطان » لا تستخدم الحيل الإنسانية ، والمكر ، والخبث ، والخداع ، لئلا تخسر معركتك وتهزم أمام قوات الشر.

السبب الرابع هو اتباع الرب من بعيد : لقد أسقط هذا التصرف بطرس إذ نقرأ عنه هذه الكلمات « وأما بطرس فتبعه من بعيد » مت ٢٦ : ٥٨ .. هل أراد بطرس أن يتلاعب مع سيده ؟ هل خالجه الفكر أن يتبعه من بعيد حتى إذا أدانه بيلاطس يهرب بحياته ، وإذا حكم بإطلاقه يسرع إليه قائلا : « ها أنذا لم أتركك.. » ربما . إنه تبعه من بعيد على كل حال مع أنه كان قد تعهد أن يمضى معه إلى السجن والى الموت .

فهل أنت تتبع الرب من بعيد ؟ هل أصبحت تعرج بين الفرقتين فأنت تارة مع العالم وتارة مع المسيح ؟ هل صرت متراخياً فى صلاتك السرية ؟ هل اعتدت أن تنسى دراسة كتابك المقدس ،

وأن لا تصحب الرب فى كل مكان تذهب اليه ؟ أنت إذاً فى طريق الإرتداد .

السبب الخامس هو الاختلاط بالناس العالميين :

يكتب لوقا البشير عن بطرس قائلا، ولما أضرموا ناراً فى وسط الدار وجلسوا جلس بطرس بينهم » لو ٢٢ : ٥٥ فى الوقت الذى كان الرب يجتاز فيه محنة قاسية قبل أن يصلب، جلس بطرس يصطلى جلس مع أناس عالميين لا يحبون الرب ، ولا يهتمون بآلامه ، مع أنه مكتوب « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس » مز ١ : ١

فهل أنت فى هذا الموقف ؟ هل رجعت إلى العالم وبدلاً من مصادقتك لشعب الله ، أصبح أقرب الأصدقاء إلى قلبك هم أولئك الذين لا يحبون الرب يسوع، والذين لا وقت له ولا مكان فى قلوبهم أو بيوتهم ، أو خططهم ، أو مسراتهم ؟

هل أنت مسيحى عالمى ؟ وهل أنت جالس أمام نار العالم تصطلى مع أبناء العالم ؟ هل تنطبق عليك الكلمات « أفرايم يختلط بالشعوب » هو ٧ : ٨ ؟

أذكر كلمات الرسول بولس « لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين . لأنه أية خلطة للبر والإثم . وأية شركة للنور مع الظلمة وأى اتفاق للمسيح مع بليعال . وأى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان . فإنكم أنتم هيكل الله الحى كما قال الله إنى سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم

يكونون لى شعباً . لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فأقبلكم . وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لى بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء » ٢ كو ٦ : ١٤ - ١٨

السبب السادس هو الخوف من الشهادة للمسيح :

كان سقوط بطرس تدريجياً ، وقد انحدر من ردىء إلى أردأ حتى وصل أخيراً إلى الخوف من الشهادة لابن الله « فرأته جارية جالساً عند النار فتفرست فيه وقالت وهذا كان معه . فأنكره قائلا لست أعرفه يا امرأة ، لو ٢٢ : ٥٦ و ٥٧ « وبعد قليل أيضاً قال الحاضرون لبطرس حقاً أنت منهم لأنك جليلى أيضاً ولغتك تشبه لغتهم . . فابتدأ يلعن ويحلف أنى لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه » مر ١٤ : ٧٠ و ٧١ وهل هناك صورة مخجلة أكثر من هذه الصورة ؟ أن يخاف المؤمن المولود من الله من الشهادة لمن مات لأجله على الصليب ؟.. لقد تمت المأساة وسقط بطرس سقوطه المشين .

السبب السابع هو عدم السرور بكلمة الله :

فى سفر إرمياء يرينا الرب سبباً قوياً من أسباب الارتداد قائلا « هكذا قال رب الجنود . من أكلمهم وأنذرهم فيسمعوا . ها إن أذنهم غلفاء فلا يقدرون أن يصغوا . ها إن كلمة الرب صارت لهم عاراً . لا يسرون بها » إر ٦ : ٩ و ١٠ ، فسبب ارتداد المؤمن هو عدم الإصغاء لكلمة الله، والإصغاء لصوت المجرب، إن لغة المرتدين إزاء كلمة الله هى « قد كرهت أنفسنا الطعام السخيف » عدد ٢١: ٥

فهل أنت لا تسر بكلمة الله ؟ ولا تحب الإصغاء اليها ؟ وقد صارت لك عاراً بعد أن كنت تتغذى بها ، وتتلذذ بدراستها ومعرفة مكنوناتها ؟ إذن أنت فى خطر الارتداد عن الرب .

أضرار الارتداد :

مسكين ذلك المؤمن الذى يرتد ، لأن ارتداده معناه أنه قد ترك إلهه ينبوع المياه الحية ، ونسى مخلصه الذى مات لأجله على الصليب وهذا ما يقوله الرب فى سفر إرمياء « لأن شعبى عمل شرين . تركونى أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشققة لا تضبط ماء » إر ٢ : ١٣ « هل تنسى عذراء زينتها أو عروس مناطقها . أما شعبى فقد نسينى أياماً بلا عدد » إر ٢ : ٣٢

إن المرتد هو شخص قد ترك الله ونسى حسناته عليه ، ولكن لنضع فى قلوبنا أن الله لم يتركه ، والدليل الأكبر على ذلك أنه يرسل له محذراً ، ويناديه فى رحمته ونعمته أن يعود إلى محبته الأولى ، وأن يذكر من أين سقط ويتوب .

ويسجل الكتاب المقدس عدة أضرار تلحق بالمؤمن المرتد .

الضرر الاول هو مرارة الابتعاد عن الرب : يكتب إرمياء فى سفره الذى يمكن أن نسميه «سفر المرتدين» قائلا «هكذا قال الرب . ماذا وجد فىّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا ... يوبخك شرك وعصيانك يؤدبك فاعلمى وانظرى أن تركك الرب شر ومر وأن خشيتى ليست فيك يقول السيد رب الجنود » إر ٢ : ٥ و ١٩

والكلمات ترينا أن المؤمن المرتد يسير وراء الباطل . . وراء الأمور المادية التي لا تشبع القلب ، والتي اختبرها سليمان فقال في حزن وأسى « ثم التفت أنا إلى كل أعمالي التي عملتها يداي وإلى التعب الذي تعبته في عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس » جا ٢ : ١١ ، وسير المؤمن وراء الأمور الباطلة يملأ حياته بالشر والمرارة .

حين ابتعد لوط عن الرب، ولم يشهد له بأمانة في سدوم الشريرة كان يعيش في العذاب يومياً « إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة » ٢ بط ٢ : ٨

ويقيناً أن المؤمن المولود من الله لا يستطيع أن يجد لذته وسعادته في الخطية ، إنه كحمامة نوح التي أرسلها فلم تجد في العالم مقراً لرجلها فعادت اليه إلى الفلك تك ٨ : ٩ ، وحين يرتد المؤمن فلا بد أن يعلم أن تركه الرب شر ومر . . وهل هناك أشر وأمر من الابتعاد عن الرب ؟

يظن البعض خطأ أن الكلمات المذكورة في رسالة بطرس الرسول الثانية والتي تقول « قد أصابهم ما في المثل الصادق كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة » ٢ بط ٢ : ٢٢ تنطبق على المؤمن المتجدد حين يرتد ، والواقع أن هذه الآية لا تنطبق بحال على المؤمن المولود من الله ، لأن الرب لم يشبه شعبه بالكلاب والخنازير إطلاقا بل شبههم بالحملان قائلا « ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب » لو ١٠ : ٣ ولكننا نراه في إشعياء يشبه الرعاة

الجهلاء بالكلاب قائلا « كلهم كلاب بكم لا تقدر أن تنبح . حالمون مضطجعون محبو النوم . والكلاب شرهة لا تعرف الشبع وهم رعاة لا يعرفون الفهم . التفتوا جميعاً إلى طرقهم كل واحد إلى الربح عن أقصى » أش ٥٦ : ١٠ ثم يتحدث الرب عن الكلاب والخنازير في عظة الجبل قائلا « لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير » مت ٧ : ٦ والكلاب والخنازير هنا يرمزون للناس الذين يعتبرون الرسالة الصالحة والتوبيخ الصحيح — وهذه درر غوالى — كأنها أحجار آلمتهم ومن ثم يبغضون العلاج ويهربون من وجه الذين يظهرون لهم خطر خطاياهم بل ويمزقون سمعة خدام الله الأمناء بلا واعز من ضمير ، وهؤلاء يقيناً لم يختبروا الميلاد الثانى ، وإن كان فى مقدورهم إدعاء الإيمان والتقوى إلى حين ثم إذ تتمزق الستائر المصطنعة التى تسترهم يظهر كل واحد منهم على حقيقته « كلب قد عاد إلى قيئه » وتظهر كل واحدة منهن على حقيقتها « خنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة » ولاحظ جيداً أن « الكلب » ما زال كلبا وأن « الخنزيرة » رغم اغتسالها الظاهرى ما زالت خنزيرة فى طبيعتها فالحديث ليس عن المؤمنين المتجددين الذين شبههم الرب « بالحملان » بل عن المتظاهرين بالدين وهم فى حقيقتهم « كلاب وخنازير » ، ولذا يقول كاتب سفر الأمثال « كما يعود الكلب إلى قيئه هكذا الجاهل يعيد حماقته » أم ٢٦ : ١١ فالكلب هنا ليس هو المؤمن بل الجاهل الذى لم يعرف الرب ولم يختبر عمل نعمته فى قلبه .

حين ابتعد لوط عن الرب « تعذب » تماما ، ثم جاء اليوم الذى خسر فيه ممتلكاته ، وخسر فيه بناته ، وحاول أن ينذر أصهاره

، فكان كازح فى أعين أصهاره ، تك ١٩ : ١٤ وتحولت زوجته إلى عمود ملح ، وأتت النيران على كل ما كان له وعلى مجهودات عمره ، وهكذا عرف أن تركه الرب شر ومر .

حدثنا الواعظ الأمريكى د . ل . مودى قال : أذكر أنه جاءنى ذات ليلة شخص مرتد ، تحدثت معه إلى ما بعد منتصف الليل ، كان قد عرف الرب ولكنه ارتد لمدة سنوات ، وهام على جبال الخطية القاحلة ، ولكنه فى تلك الليلة أراد أن يعود إلى شركته الأولى مع إلهه . . ركعنا وصلينا . . واستمررنا فى الصلاة حتى أشرق النور على حياته وخرج ممتلئاً بالفرح .

فى الليلة التالية جلس أمامى بينما كنت أعظ ، ولم أر فى حياتى إنساناً حزيناً كئيباً كما كان ذلك الرجل فى تلك الليلة .. تبعنى إلى غرفة الصلاة ... سألته : هل ابتعدت عيناك عن الرب ؟ قال : لا . ثم تابع حديثه قائلا : إننى لم أذهب إلى عملى اليوم ، ولكننى قضيت كل النهار فى زيارة أولادى . . كلهم متزوجون فى هذه المدينة . . وقد ذهبت إلى بيوتهم ... وكلهم استهزأوا بى .. إن هذا اليوم هو أشد الأيام ظلاما فى حياتى . . . لقد انتبهت إلى ما فعلت . . . وأدركت شر ما عملت . . أخذت أولادى إلى العالم ولكننى لا أستطيع الآن اخراجهم منه . لقد رد له الرب بهجة خلاصه ، ولكنه عرف أن تركه الرب شر ومر .

الضرر الثانى هو انقطاع الشركة مع الله : إن الارتداد يعطل شركة المؤمن مع أبيه السماوى ، عندما سقط داود فى خطيته المشهورة تعطلت شركته مع الله . . لم تكن هناك صلاة . . ولم تعد

له الاختبارات الحلوة فى ساعات الشركة ، ولم يعد يختبر استجابة صلواته ، إن لسان حال كل مؤمن مرتد هو ما قاله إرمياء فى مراثيه فى حديثه لله «التحفت بالسحاب حتى لا تنفذ الصلاة» مراثى ٣ : ٤٤

عندما ترك الابن الضال بيت أبيه ، لم يفقد بنويته ، ولكنه فقد شركته مع أبيه حتى عاد إليه معترفاً بخطيته .

أيها المؤمن المرتد هل تستطيع أن تحتمل انقطاع شركتك مع إلهك وإلى متى تستمر فى بعدك عن أبيك السماوى ؟

الضرر الثالث هو فقدان بهجة الخلاص : عندما سقط داود فى خطيته المشهورة ، فقد بهجة خلاصه ، ولما رجع للرب بعد ارتداده صلى قائلا « رد لى بهجة خلاصك » مز ٥١ : ١٢ إنه لم يقل « رد لى خلاصك » لأن المؤمن لا يفقد خلاصه أبداً . . ولكنه يفقد بالارتداد بهجة خلاصه ، يفقد الفرح الغامر الذى كان يملأ قلبه ، والمؤمن الذى يعيش بلا بهجة ولا فرح مؤمن حزين كئيب مسكين ، ينفر الخطاة ويرسم لهم صورة مظلمة عن الحياة مع الله .

ولقد صور داود فى المزمور الثانى والثلاثين اختبار المؤمن المرتد الذى لا يسرع بالاعتراف بخطاياه للرب قائلا « لما سكت بليت عظامى من زفيرى اليوم كله . لأن يدك ثقلت على نهاراً وليلا تحولت رطوبتى إلى يبوسة القيظ » مز ٣٢ : ٣ و ٤ . . لقد فقد فرحه ، وبهجته ، وأصبح الأنين هو لغته والزفير الخارج من صدره المتضايق هو النغمة الوحيدة فى حياته .

فهل ترضى أيها المؤمن أن تعيش فى هذه الحالة التعسة ؟

الضرر الرابع هو توقف الشهادة للمسيح : حين يسقط المؤمن فى الخطية تتوقف شهادته وتتعطل . لقد توقفت شهادة داود حتى عاد معترفاً لإلهه وقائلا « رد لى بهجة خلاصك وبروح منتدبة أعضدنى فأعلم الأثمة طرقك والخطاة إليك يرجعون » مز ٥١ : ١٢ و ١٣

فالمؤمن المرتد لا يستطيع أن يشهد للمسيح شهادة مؤثرة ، إن الكلمات تخرج ميتة من بين شفتيه ، وهو قد يحاول ستر ارتداده بحديث مغلف بكلمات روحية ، ولكن هذا الستار لا بد أن يتمزق ، ويعرف المرتد أن الخطية تطفىء نور شهادته حتى يعود لإلهه معترفاً بخطاياه .

لذلك ينبه الرب ملاك كنيسة أفسس قائلا « أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك وأنك لا تقدر أن تحتمل الأشرار وقد جربت القائلين إنهم رسل وليسوا رسلا فوجدتهم كاذبين . وقد احتملت ولك صبر وتعبت من أجل اسمى ولم تكل . لكن عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى فاذكر من أين سقطت وتب واعمل الأعمال الأولى وإلا فإنى آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب » رؤ ٢ : ٢ - ٥ .

إن القلب الممتلىء بلهيب المحبة للرب هو الذى يستطيع أن يربح النفوس الهالكة للمسيح ، أما حين يفقد المؤمن محبته الأولى فإن شهادته للرب تصبح فاترة وغير مثمرة .

الضرر الخامس هو شماتة أعداء الرب : حين يقبل

الخاطىء الرب يسوع كمخلص شخصي له ، وينتقل إلى ملكوته ، تتجه إليه الأنظار كما يقول بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى الكنيسة التى فى كورنثوس « لأننا صرنا منظراً للعالم للملائكة والناس » ١ كو ٤ : ٩ ، وحين يسقط بعد تجديده فى الخطية يجعل أعداء الرب يشمتون ، وهذا ما قاله ناثان لداود حين سقط سقطته الكبرى « أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون » ٢ صم ١٢ : ١٤ ، فالمؤمن المرتد يجعل الشيطان والأشرار يشمتون، ويا له من أمر مخجل معيب .

الضرر السادس هو خسارة الاكليل: يكتب بولس إلى القديسين فى كورنثوس قائلا « ألستم تعلمون أن الذين يركضون فى الميدان جميعهم يركضون ولكن واحداً يأخذ الجعالة . هكذا اركضوا لكى تنالوا . وكل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شىء . أما أولئك فلكى يأخذوا إكليلا يفنى وأما نحن فإكليلا لا يفنى . إذاً أنا أركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين . هكذا أضارب كأنى لا أضرب الهواء . بل أقمع جسدى وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » ١ كو ٩ : ٢٤-٢٧

والرسول بولس لا يتحدث هنا عن رفضه من الدخول إلى السماء ، ولكنه يتحدث عن رفضه من نوال الإكليل ، وهذا ما تتحدث به قرينة الآية ، فالحديث عن سباق لأجل نوال الإكليل وليس عن الخلاص ونوال الحياة الأبدية ، فنوال الحياة الأبدية هبة مجانية لا نأخذها بالركض والجهاد بل من مجرد نعمة الله . وبولس يقول « أقمع جسدى وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين

لا أصير أنا نفسى مرفوضاً » أى أن ضبطه لنفسه فى مثابرة وجهاد سيعطيه الحق فى نوال الإكليل ، ولكنه إذا لم يفعل خسر إكليل ضبط النفس . فالمؤمن الذى يعيش فى حياة التراخى والاستهانة لابد أن يخسر إكليل ضبط النفس .

ولذا يتحدث الرب إلى ملاك كنيسة فيلادلفيا قائلا « ها أنا آتى سريعاً . تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك » رؤ ٣ : ١١

فهل تريد أن تخسر إكليلك أيها المؤمن لأجل نزوة عارضة ، أو ربح وقتى ؟ احذر من الارتداد لئلا تخسر إكليل الجهاد .

أخيراً يقع المؤمن المرتد تحت تأديب القدير :

إن الله يكره الخطية . . يكرهها فى الخاطىء الهالك كما يكرهها فى أولاده المخلصين ، وحين ينحرف أحد أولاده بعيداً عنه ولا يعود معترفاً بخطيته ، فإن الآب السماوى لابد أن يؤدبه ليرجعه.

وفى الرسالة إلى العبرانيين تتجلى لنا هذه الحقيقة فى الكلمات « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية . وقد نسيتم الوعظ الذى يخاطبكم كبنين يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك . لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله . إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين . فأى ابن لا يؤدبه أبوه . ولكن إن كنتم بلا تأديب قد صار الجميع شركاء فيه فأنتم نغول لا بنون . ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين وكنا نهابهم أفلا نخضع بالأولى جداً لأبى الأرواح فنحيا . لأن أولئك أدبونا أياماً قليلة حسب استحسانهم . وأما هذا فلأجل المنفعة لكى نشترك فى قداسته . ولكن كل تأديب فى الحاضر لا يرى أنه للفرح

بل الحزن . وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام »
عب ١٢ : ٤ - ١١

فالمؤمن الذى يرتد يقع تحت التأديب، فعندما انحرف المؤمنون فى كورنثوس فى سلوكهم وتعليمهم أدبهم القدير ، وكتب لهم بولس الرسول قائلا « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكى لا ندان مع العالم »
١ كو ١١ : ٣٠ - ٣٢ .

إن المؤمن لا يستطيع أن يخلص من التأديب إلا بالجهاد ضد الخطية بالاعتماد على نعمة الله ، وهذا هو « الخلاص » الذى تحدث عنه بطرس فى رسالته الأولى ، فهو لم يتحدث عن الخلاص من الخطية بل عن الخلاص من « التأديبات الإلهية » فقال « لأنه الوقت لابتداء القضاء من بيت الله . فإن كان أولا منا فما هى نهاية الذين لا يطيعون انجيل الله . وإن كان البار بالجهد يخلص [أى يخلص من التأديب الإلهى] فالفاجر والخاطىء أين يظهران » ؟
١ بط ٤ : ١٧ و ١٨

إن الآب السماوى يستخدم عدة وسائل فى تأديب أولاده المنحرفين عنه ، وهو يؤدبهم لأن الزمن الوحيد الذى يعاقبهم فيه على ارتدادهم هو هنا على الأرض لأنه لن يدينهم فيما بعد ، كما وعد الرب يسوع كل من يؤمن قائلا إنه « لا يأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة » يو ٥ : ٢٤

والآن تعال معى لنستعرض الوسائل التى يستخدمها الآب القدوس فى تأديب أولاده .

انه يؤدبهم بالعصا : كما نقرأ فى سفر الأمثال «الجهالة مرتبطة بقلب الولد عصا التأديب تبعدها عنه» أم ٢٢ : ١٥ ، وكما نقرأ فى سفر المزامير «إن ترك بنوه شريعتى ولم يسلكوا بأحكامى . إن نقضوا فرائضى ولم يحفظوا وصاياى . افتقد بعصاً معصيتهم وبضربات إثمهم» مز ٨٩ : ٣٠ - ٣٢

كان داود ابناً لله ، ولكنه سقط وارتكب خطية الزنا ، وحاول أن يستر خطيته بالخداع ، فلما لم يفلح لجأ إلى القتل ، وكانت خطيته سباعية التركيب ، فقد أخطأ ضد أوريا ، وأخطأ ضد بثشبع ، وأخطأ ضد الإنسانية ، وأخطأ ضد التاج ، وأخطأ ضد الدولة ، وأخطأ ضد الجيش ، وأخطأ قبل كل شىء «ضد الله» ، وقد ظن داود أن الملك يستطيع أن يخطىء وهو بمنجاة من العقاب ، لكنه نسى عين الآب الساهرة ، فأوقع نفسه تحت تأديب الآب السماوى الذى أراه أن «العصا لظهر الناقص الفهم» أمثال ١٠ : ١٣

وتعال معى لنسمع ناثان وهو يعلن للملك داود سلسلة تأديبات القدير ، إن رجل الله يقول لذلك الابن المرتد «لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه . قد قتلت أوريا الحثى بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة وإياه قتلت بسيف بنى عمون . والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتنى وأخذت امرأة أوريا الحثى لتكون لك امرأة . هكذا قال الرب هأنذا أقيم عليك الشر من

بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس . لأنك أنت فعلت بالسر ، وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع اسرائيل وقدام الشمس » ٢ صم ١٢ : ٩ - ١٢ والذى يقرأ حوادث حياة داود بعد سقطته يرى مقدار تأديب الرب له . . يرى كيف أذل أمنون ابنه ثامار أخته ٢ صم ١٣ ، وكيف قتل أبشالوم أخاه أمنون ٢ صم ١٣ ، وكيف اضطجع أبشالوم مع سرارى أبيه فى عين الشمس ٢ صم ١٦ : ٢١ ، وكيف سب شمعى بن جيرا داود الملك ورشقه بالحجارة ٢ صم ١٦ : ٥ و٦ لقد أدب الرب داود تأديباً كاملا على خطيئته التى فعلها ، وهو يفعل هذا بكل ابن من أولاده يبتعد عنه لأنه إله قدوس يكره الخطية .

والآن تعال لترى مثالا آخر للتأديب الإلهى فى حياة شمشون ، ذلك الرجل الذى كان نذيراً لله من بطن أمه ، ولكنه تراخى فى حياته وسار وراء شهوات عينيه ، وأحب دليلة المرأة الزانية ، ونام على ركبتيها ، وأفشى لها سره العظيم . .

وانظر كيف أدبه الآب السماوى على خطيئته ، هذا التأديب الشديد الذى نقرأ عنه فى الكلمات « وأنامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه وابتدأت بإذلاله وفارقته قوته . وقالت الفلسطينيون عليك ياشمشون . فانتبه من نومه وقال أخرج حسب كل مرة وأنتفض . ولم يعلم أن الرب قد فارقه . فأخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به إلى غزة وأوثقوه بسلاسل نحاس . وكان يطحن فى بيت السجن » قض ١٦ : ١٩ - ٢١

فهل تريد أن يؤدبك الرب بعصاه المؤلمة ، أذكر ما قاله لداود عن سليمان ابنه « أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً . إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم » ٢ صم ٧ : ١٤ وسر زمان غربتك بخوف .

انه يؤدبهم بالمرض : يكتب بولس للمؤمنين المنحرفين فى كورنثوس قائلا « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى » ١ كو ١١ ، وفى سفر أيوب نقرأ الكلمات « أيضاً يؤدب بالوجع على مضجعه ومخاصمة عظامه دائمة . فتكره حياته خبزاً ونفسه الطعام الشهى . فيبلى لحمه عن العيان وتنبرى عظامه فلا ترى » أيوب ٣٣ : ١٩ - ٢١

وفى سفر التثنية نقرأ سلسلة الأمراض التى يؤدب بها الرب شعبه فى الكلمات « يلصق بك الرب الوبأ حتى يبيدك عن الأرض التى أنت داخل إليها لكى تمتلكها . يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك .. يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء » تث ٢٨ : ٢١ و ٢٢ و ٢٧

فهل رأيت إلى أى مدى يكره الله الخطية فى أولاده ، ويوقع عليهم التأديب بسببها إذا لم يتوبوا ويرجعوا إليه ؟

انه يؤدبهم بتسليم أجسادهم للشيطان : حين ارتكب أحد أعضاء كنيسة كورنثوس خطية الزنا كتب لهم بولس عنه قائلا « قد حكمت كأنى حاضر فى الذى فعل هذا هكذا باسم ربنا يسوع

المسيح إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع » ١ كو ٥ : ٣ - ٥

وحين يسلم جسد المؤمن للشيطان ، فإن الشيطان يعذب هذا الجسد بشتى الضربات ، لقد سمح الرب بأن يسلم جسد أيوب للشيطان « فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح رديء من باطن قدمه إلى هامته » أي ٢ : ٧ فكم بالحرى حين يسلم المؤمن المرتد للشيطان ، إن الرب قد يسمح له أن يضربه حتى يهلك جسده.

انه يؤدبهم بأشواك الحياة : اسمع ماذا يقول الرب في سفر هوشع « هأنذا أسيج طريقك بالشوك . وأبني حائطها حتى لا تجد مسالكها فتتبع محبيها ولا تدركهم وتفتش عليهم ولا تجدهم . فتقول أذهب وأرجع إلى رجلي الأول لأنه حينئذ كان خير لي من الآن » هو ٢ : ٦ و ٧ فهل سيج الرب طريقك بالشوك لأنك ابتعدت عنه؟ هل أقفل في وجهك أبواب الرزق؟ هل أحاط حياتك بالمضايقين ؟ اسرع وعد إلى الرب .

إن الرب يؤدب أولاده بشدة لأنه يريد أن يراهم كما يحب قلبه ، وهو يقول في سفر هوشع « فأنا تأديب لجميعهم » هو ٥ : ٢ « فأنا لأفرايم كالعث ولبيت يهوذا كالسوس » هو ٥ : ١٢ « لأني لأفرايم كالأسد ولبيت يهوذا كشبل الأسد فإني أنا أفترس وأمضي وآخذ ولا منقذ . اذهب وارجع إلى مكاني حتى يجازوا ويطلبوا وجهي . في ضيقهم يبكرون إلي » هو ٥ : ١٤ و ١٥

فيا أيها المرتد المسكين حتى متى تبقى تحت تأديب الرب ؟ أسرع إليه وخذ منه الغفران والشفاء .

طريق عودة المؤمن المرتد

ما هو الطريق الكتابي لعودة المؤمن المرتد ؟

[١] **اعرف اثمك** : إن أول خطوة أن يعرف المرتد إثمه ، وهذا ما نقرأه في سفر إرمياء « اذهب وناد بهذه الكلمات .. اعرفي فقط إثمك أنك إلى الرب إلهك أذنبت وفرقت طرقك للغرباء تحت كل شجرة خضراء ولصوتي لم تسمعوا يقول الرب » . إرمياء ٣ : ١٢ و ١٣

عندما رجع داود إلى الرب قال له « لأني عارف بمعاصي وخطيتي أمامي دائماً . إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت » . مز ٥١ : ٣ و ٤ ومع أن خطية داود كانت متعددة النواحي إلا أنها كانت أولا وآخراً « ضد الله » الذي كسر داود ناموسه وعصى وصاياه .

فاعرف أيها المؤمن خطيتك ، اعرف ضربة قلبك ١ مل ٨:٣٨ واذكر من أين سقطت ، وعد إلى إلهك .

[٢] **ارجع الى الهك** : في سفر هوشع نقرأ الكلمات « هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا ضرب فيجبرنا » هو ٦ : ١ وفي مراثي ارمياء ينادي النبي الشعب المرتد قائلا « لماذا يشتكي الإنسان الحي الرجل من قصاص خطاياه . لنفحص طرقنا ونمتحنها

ونرجع إلى الرب » مراثى ٣ : ٣٩ و ٤٠ فيا أيها المرتد المسكين ارجع إلى نفسك ، وعد إلى الرب كما رجع الابن الضال إلى نفسه وعاد إلى أبيه .

[٢] **اعترف لله بخطيتك** : حين يرجع المرتد إلى الرب فبأى كيفية يرجع ؟ هنا يرينا هوشع كيفية الرجوع قائلا « إرجع يا إسرائيل إلى الرب إلهك لأنك قد تعثرت بإثمك . خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب . قولوا له . ارفع كل إثم واقبل حسناً فنقدم عجول شفاهنا » هو ١٤ : ١ و ٢

ويشاركه يوحنا الرسول فى ذات الوسيلة قائلا « إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم » ١ يو ١ : ٩

إن المؤمن الذى يخطىء ضد أبيه السماوى بالفكر أو بالقول أو بالعمل ، تتعطل شركته إلى أن يعترف بخطئه ويحكم على نفسه حكما مؤسساً على حقيقة عمل المسيح على الصليب ، وشفاعته فى السماء . والله أمين وعادل حتى يغفر له هذا الخطأ ويرد نفسه ويعيد إليه شركته وبهجة خلاصه ، ويطهر ضميره من الدنس الذى علق به . حين عاد الابن الضال إلى أبيه أخذ معه كلاماً وقال « أقوم وأذهب إلى أبى وأقول له يا أبى أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً » لو ١٥ : ١٨ و ١٩ . وقد قبله أبوه وأعاد له شركته وبهجة وجوده معه .

فيا أخى المؤمن احذر أن تمضى حياتك بضمير ملوم مثقل

بأخطاء لم تعترف بها ، لئلا يتبلد احساسك الأدبى بالخطية ، وعندئذ تقع بين يدى الله لتأديبك و « مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى » عب ١٠ : ٣١ .

لقد وعد الرب فى سفر هوشع قائلا « أنا أشفى ارتدادهم. أحبهم فضلا لأن غضبى قد ارتد عنه » هو ١٤ : ٤

وحين شفى الرب ارتداد بطرس طلب إليه أن يرعى غنمه ، وأن يرعى خرافه ، فالمؤمن المرتد حين يعود للرب يجد خدمة عظمى تنتظره كما قال الرب لسمعان « سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة . ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك . وأنت متى رجعت ثبت إخوتك » لو٢٢ ٣١و٣٢

ومن عجب أن يصبح بطرس الجبان المرتد الذى أنكر سيده بعد بكائه المر واعترافه بخطيته بركة لتثبيت الضعفاء من إخوته . ولكنها النعمة التى خلصتنا وهى ذاتها التى تقوينا ، وتحفظنا .

فلنذكر دوماً كلمات كاتب الرسالة إلى العبرانيين وهو يتحدث عن المؤمنين قائلا « وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الإيمان لإقتناء النفس » عب ١٠ : ٣٩



الفصل الخامس

خلاص إلى التمام

هل يمكن أن يفقد أحد المولودين من الله خلاصه الأبدى؟ يقيناً: لا . فكل الكتاب المقدس يتحدث عن الضمان الأبدى للقديسين ، وحين نقول القديسين فنحن نعنى المؤمنين الحقيقيين ١ كو ١ : ٢ ، فهم وحدهم الذين يثابرون حتى النهاية ، وتعلقهم المستديم بالمسيح هو العلامة الكبرى التى تميزهم عن المعترفين ظاهرياً ، وهناك عناية خاصة تسهر عليهم ، وحتى وإن فشلوا عملياً فى بعض الأحيان فى تطبيق الحق ، فإنهم لن يتخلوا كلية عن الحق إلى درجة إنكار الرب الذى اشتراهم .

إن المؤمن المولود من الله تخدمه ملائكة السماء كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين « أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص » عب ١ : ١٤ ، وتعمل كل الأشياء لخيره كما يقول بولس الرسول « ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده » رو ٨ : ٢٨ ، وهو محروس بقوة الله كما يقول بطرس الرسول « أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الأخير » ١ بط ١ : ٥

وقد أحصى الله شعر رأسه كما قال الرب له المجد « وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة » مت ١٠ : ٣٠ أو فى عبارة واحدة أن مركزه لدى الآب السماوى مركز ممتاز عظيم إش ٤٣ : ٤

٧ أمور لا بد أن تحدث قبل أن يهلك أحد المخلصين

(١) **لا بد أن يخطف أحدهم المؤمن من يد الآب نفسه:**

لقد أعطى الرب للمؤمنين هذا الوعد الثمين « خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى **وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدى أبى** الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل **ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى** » يو ١٠ : ٢٧ - ٢٩ . فهل هناك من يقدر أن يخطف المؤمن من يد الرب يسوع ، ومن يد الآب ؟ وألا يكون معنى ذلك أن الآب القدوس القادر على كل شيء لم يستطع أن يحفظ ما له ؟ حاشا أن يهلك أحد خراف المسيح .

(٢) **لا بد أن يزيل أحدهم ختم الملكية الذى ختم به الرب المؤمن تأكيداً لملكيته له** : يكتب بولس للقديسين فى أفسس قائلا « الذى فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق انجيل خلاصكم الذى فيه أيضاً إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس . الذى هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده » أفسس ١ : ١٣ و ١٤

عندما يختم أحدهم شيئاً اشتراه بخاتمه فهذا يعنى ملكيته له ، وهكذا عندما اشترانا الآب بدم ابنه ختمنا بالروح القدس ، وهو العربون الذى أعطاه لنا حتى يأتى وقت فداء أجسادنا . فمن

يستطيع أن يزيل ختم ملكية الله من قلب أى مؤمن ؟ لا أحد ...
فالمؤمن إذاً لا يمكن البتة أن يفقد حياته الأبدية .

(٣) لابد أن ينزع أحدهم روح الله الساكن فى المؤمن :

يقول بولس الرسول للقديسين فى كورنثوس « أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم » ١ كو ٣ : ١٦ وقد وعد الرب فى انجيل يوحنا تلاميذه قائلا « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد » يو ١٤ : ١٦ وعبارة « يمكث معكم إلى الأبد » تعنى أن الروح القدس يمكث فى المؤمن ولا يستطيع أحد أن ينزعه منه أبداً ، وقبل أن يهلك المؤمن لابد أن ينزع أحدهم روح الله الساكن فيه ، وهـــذا أمر يتعارض مع وعد الرب يو ١٤ : ١٦ إنه أمر مستحيل الحدوث .

(٤) لابد أن يفصل أحدهم المؤمن عن محبة المسيح :

يهتف بولس الرسول بفرح قائلا « من سيفصلنا عن محبة المسيح ؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف كما هو مكتوب إننا من أجلك نمات كل النهار قد حسبنا مثل غنم للذبح . ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا . فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا» رو ٨ : ٣٥-٣٩

فهل توجد قوة تقدر أن تفصل المؤمن عن محبة المسيح ؟

يقيناً : لا ، وإذن فالمؤمن لا يمكن أن يهلك .

(٥) **لا بد أن يصعد أحدهم إلى السماء ليمحو اسم المؤمن من سفر الحياة** : لقد كتب الرب أسماء المؤمنين فى سفر الحياة ، فى السموات ، وهذه هى الآيات التى تؤكد هذا الحق الثمين :

« افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت فى السموات » لو ١٠ : ٢٠

« الذين أسماؤهم فى سفر الحياة » فى ٤ : ٣

« ولن يدخلها شىء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً إلا المكتوبين فى سفر حياة الخروف » رؤ ٢١ : ٢٧

فمن ذا يستطيع أن يصعد إلى السماء ليمحو اسم المؤمن من سفر الحياة ؟ إنه أمر مستحيل ولذا فمن المستحيل كذلك أن يهلك المؤمن .

(٦) **لا بد أن يفصم أحدهم رابطة البنوية القائمة بين المؤمن والآب السماوى** : نقرأ فى انجيل يوحنا الكلمات « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه . الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » يو ١ : ١٢ و ١٣ فهل يمكن أن يكون المؤمن اليوم إبناً لله وغداً يفقد هذه البنوية ؟ إن البنوية هى صلة لا يمكن أن تفقد أبداً ، ومقام لا يتغير إطلاقاً ، وبما أن المؤمن هو ابن لله فهو وارث لله بالمسيح غلا ٤ : ٧

(٧) لابد أن يفي الله مواعيده الصادقة التي وعد بها المؤمن : إن كل امتيازات المؤمن مبنية على أمانة الله المكتوب عنه « ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم . هل يقول ولا يفعل . أو يتكلم ولا يفي » عدد ٢٣ : ١٩ « لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة » رو ١١ : ٢٩ وهو قد قال « أما رحمتي فلا أنزعها عنه ولا أكذب من جهة أمانتي . لا أنقض عهدي ولا أغير ما خرج من شفتي » مز ٨٩ : ٣٣ و ٣٤ « فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب » إش ٥٤ : ١٠ وقال أيضاً « لأني أنا الرب لا أتغير فأنتم يا بني يعقوب لم تفنوا » ملا ٣ : ٦

لقد انتهت قضية المؤمن إلى التمام وهو لا يمكن أن يهلك أو يفقد خلاصه تحت أي ظرف من ظروف الحياة ، وتعال معي لنسمع ما يقوله بولس في رسالته إلى أهل رومية « لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته » رو ٥ : ١٠ لقد صالحنا المسيح مع الله بموته على الصليب ، لكن بالأولى كثيراً أن ننال تمام خلاصنا بحياته .

لكن ماذا تعني العبارة « نخلص بحياته » ؟ إنها لا تعني الخلاص بحياة المسيح على الأرض واتباع مثاله . كلا . ولكنها تعني الخلاص بحياته الآن لأجل المؤمنين في السماء كشفيع لهم عند الآب كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين « وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به

إلى الله إذ هو حي فى كل حين ليشفع فيهم » عب ٧ : ٢٤ و ٢٥ فالرب يسوع بعد أن مات على الصليب صعد إلى السماء ، وهو حي هناك ليشفع فى المؤمنين به الذين وثقوا فى عمل صليبه ، وحياته هناك هى ضمان خلاص المؤمنين الأبدى لأنه قادر « أن يخلص أيضاً إلى التمام » فخلاصهم ليس إلى وقت من الزمن بل هو خلاص أبدى . . خلاص إلى التمام .

وهو خلاص مؤسس على موت المسيح وشفاعته « إذ هو حي فى كل حين ليشفع فيهم » وأى نوع من الشفاعة هذه التى يقدمها المسيح لأجل مفدييه ؟

إنه يطلب أن لا يفنى إيمانهم كما طلب لأجل بطرس لو ٢٢ : ٣١ و ٣٢

وهو يطلب أن يحفظهم الآب فى اسمه يو ١٧ : ١١ وهو يطلب أن يحفظهم الآب من الشرير يو ١٧ : ١٥ وهذا لا يعنى أنهم لا يسقطون فى الخطية بل يعنى أنهم ان يستمروا فى هزيمتهم أمام الشيطان، فقد يسقطون كما سقط بطرس ثم يقومون ظافرين منتصرين.

وهو يطلب أن يكون المفديون معه فى مجده يو ١٧ : ٢٤

فهل من الممكن أن لا تجاب شفاعة الرب يسوع لأجل المؤمنين ؟ ! حاشا . . إنه الضامن الإلهى لخلاصهم الأبدى ولذا قال يوحنا الرسول « يا أولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » ١ يو ٢ : ١ و ٢

وهناك حقيقة عظمى يجب أن لا تغيب عن ذهننا وهى ، أنه إذا كان من الممكن أن يهلك المؤمن ، فلماذا يؤدبه الآب السماوى هذا التأديب المؤلم تارة بالمرض ، وأخرى بأشواك الحياة ، وثالثة بالعصا ، وبغير ذلك من التجارب والآلام ؟

إن تأديب الله لأولاده يعنى بغير جدال أنهم لا يمكن أن يهلكوا كما يقول بولس الرسول للمؤمنين فى كورنثوس « ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكى لا ندان مع العالم » ١ كو ١١ : ٣٢ ، فتأديب الرب معناه أن المؤمن لا يدان مع العالم ، كما يقرر كاتب سفر الأمثال بالروح القدس قائلا « هوذا الصديق يجازى فى الأرض فكم بالحرى الشرير والخاطىء » أم ١١ : ٣١

لقد حمل الرب يسوع المسيح دينونة خطية المؤمن فى جسده على الصليب ، وهو الآن حى فى السماء ليشفع فى المفديين ، ولذا فإن خلاصهم خلاص إلى التمام .

هذا هو خلاص الله العظيم فى معناه ، وفى طريق الحصول عليه ، وفى يقينه ، وفى ضمان دوامه الأبدى .

فهل هناك ما هو أمجد من هذا الخلاص ؟

ابتهج أيها المؤمن وافرح بخلاصك .

وتعال أيها الخاطىء إلى صليب المسيح ، واقبله مخلصاً شخصياً لك ، لتستمتع بيقين الخلاص وتهتف مردداً مع الرسول الجليل حين قال « لأننى عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم » ٢ تى ١ : ١٢

بل اتردد مرنماً :

إن اسمى فى سفر الحياة　　مبارك اسم الرب
وبالإيمان اسمى أراه　　فيـــه بلا ريب
مجــــداً لله　　اسمى هنــاك
ربى يســوع　　كتبه هناك

ففى هذا اليقين الأكبر

مفتاح الغد السعيد

شبرا مصر　　　　أول أغسطس ١٩٦٢

عزيزى القارىء

لقد كتبنا هذا الكتاب لبركة نفسك . . كتبناه لنشرح لك طريق الخلاص كما هو واضح فى الكتاب المقدس . . كتبناه لنساعدك بنعمة الله لتستمتع بفرح اليقين ، وسلام الغفران ، وبهجة الخلاص ، فإذا كانت كلماته قد مست قلبك وتريد أن تعرف شيئاً أكثر من مشورة الله

فتعال لتحضر اجتماعاتنا

إذا كنت فى بيروت لبنان

فاتصل بالدكتور القس كلارنس جرين

والقس منير فكتور صدقة

بالكنيسة المعمدانية الأولى — شارع جان دارك . شارع الصيدانى . رأس بيروت .

وإذا كنت فى القدس القديمة

فاتصل بالقس عاطف حاده بالكنيسة المعمدانية الأولى بالقدس

وإذا كنت فى القاهرة

فاتصل بالقس لبيب ميخائيل — راعى الكنيسة المعمدانية الكتابية الأولى ٢١ شارع زنانيرى شبرا مصر

إننا نرحب بك

ويسعدنا حضورك

مواعيد اجتماعاتنا بشبرا مصر الأحد ١٠ صباحاً ، ٧,٣٠ مساءً ، الخميس ٧,٣٠ مساءً .

مجموعة مؤلفات القس لبيب ميخائيل

١	عقدة العقد (نفد)		١٩٤٧
٢	عالم الخلود حقيقة أم خيال	٢٥ مليما	١٩٤٩
٣	زهور السعادة الزوجية	٢٥ مليما	١٩٤٩
٤	حقيقة التجسد (نفد)		١٩٥٠
٥	حقيقة معمودية الماء (نفد)		١٩٥٠
٦	حقيقة الصلة بين المسيحى والناموس (نفد)		١٩٥١
٧	حقيقة عقيدة التثليث (نفد)		١٩٥١
٨	حقيقة اختبار الميلاد الثانى	٥ قروش	١٩٥١
٩	مفاجآت المجىء الثانى (نفد)		١٩٥٣
١٠	صوت الاختبار	١٥ قرشاً	١٩٥٤
١١	مؤتمر القديسين	١٥ قرشاً	١٩٥٥
١٢	قضية الصليب	١٥ قرشاً	١٩٥٦
١٣	طريق الحياة الأبدية (نفد)		١٩٥٧
١٤	عظيم إيمانك	١٥ قرشاً	١٩٥٧
١٥	طريقك إلى السلام	١٥ قرشاً	١٩٥٨
١٦	مشكلة الألم [الطبعة الثانية المنقحة]	١٢ قرشاً	١٩٥٩
١٧	تحضير الأرواح	٥ قروش	١٩٦٠
١٨	المسيحية والسعادة النفسية	١٢ قرشاً	١٩٦٠
١٩	معمودية الماء فى الكتاب المقدس	١٠ قروش	١٩٦١
٢٠	كأس الخمر حلال أم حرام		١٩٦٢
٢١	يقين الخلاص	٢٠ قرشاً	١٩٦٢

محتويات الكتاب

Assurance of Salvation

By

Rev. Labib Mikhail, pastor
First Baptist Bible Church
Shubra, Cairo. Egypt
U. A. R.

ADDRESS P. O. Box 28 Shubra, Cairo.

يطلب هذا الكتاب من

الكنائس المعمدانية الكتابية الأولى

فى بيروت ص . ب رقم ٣١٧٥ بيروت لبنان

فى القاهرة ص . ب رقم ٢٨ شبرا مصر ج . ع . م

فى القدس ص . ب رقم ٣٤٩ القدس القديمة

ومن المكتبات المسيحية الشهيرة فى القاهرة و

الثمن
٢٠ قرشاً فى الجمهورية العربية المتحـ
٢ ليرة فى البلاد العربية الشقيـ